روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سرى جدًّا !!
156
د. نبيل فاروق
Looloo
www.helmelarab.net
عالم جديد

ملف المستقبل ..

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسريَّة مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

1 ـ بلا أجوبة ..

على الرغم من استعادته وعيه ، وأسلوب (نور) فى شرح الموقف ، الذى استيقظ أعضاء فريقه ، ليجدوا أنفسهم فيه ، لم يستطع (أكرم) قط استيعاب أو هضم الموقف ، وخصوصًا مع طبيعته البدائية ، التى طالما مالت للزمن الماضى ، بكل هدوئه ورصانته ، فإذا به يقفز مع الفريق إلى المستقبل ..

وبلا عودة ..

لم يكن باستطاعته أن يتقبَّل هذه النقطة الأخيرة بالذات ، والتى جعلته يتحرَّك فى حجرته الخاصة ـ التى تحوى عشرات الأشياء التى يجهلها ـ على نحو أشبه بالأسد الحبيس ..

أو الجريح ..

وعندما التقطت أذناه وقع الأقدام ، التى تقترب من حجرته ، قفزت يده على نحو غريزى إلى موضع مسدسه ، فلما لم يجده فى مكانه ، غمغم فى سخط :

ـ يا للسخافة !

كان يبغض كل ما حوله ، على نحو لم يبغض به شيئًا من قبل ..

بل ربما لم يبغض شيئًا من قبل ..

ولكن أن يفقد وعيه ، فى زمن ما ، ثم يستعيده ، ليجد نفسه فى زمن آخر(*) ، فهذا يفوق احتماله ..

ألف مرة ..

ثم ما الذى تعنيه عدم قدرتهم على العودة إلى زمنهم ؟!

الفريق سافر عبر الزمن عدة مرات(**) ..

وعـاد ..

وانتصر ..

فلماذا لا يعود هذه المرة ؟!..

لمـاذا ؟!..

لمـاذا ؟!..

كان عقله يلتهب بالسؤال ، دون أن يحصل على جواب شاف ، عندما سمع طرقات هادئة على باب حجرته بغتة ..

(*) راجع قصة (الكهـف) .. المغـامرة رقم (155) .

(**) راجع قصة (عبر العصور) .. المغامرة رقم (54) .

وقصة (ألف عصر) .. المغامرة رقم (118) .

وعلى الرغم من هدوئها ، الذى يوحى بأن صاحبها يحرص علـى ألا يشعر به أحد ، فقد انتفض جسد (أكرم) فى قوة ، وهتف فى عصبية :

ـ من الطارق ؟!

أتاه صوت (نور) خافتًا ، وهو يقول :

ـ إنه أنـا .

أسرع (أكرم) يفتح الباب ، ويفسح الطريق لـ (نور) ، علـى الرغم من أن عقارب تلك السـاعة الهولوجرافيـة ، الطـائرة فى سماء الحجرة ، التى يعتبرها مـن أسخف الأشياء فى حجرتـه ، كانت تشير إلى الثانية صباحًا ، إلا بضع دقائق ..

وفى سرعة ، دلف (نور) إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفـه ، وهو يهمس :

ـ كنت أخشى أن تكون نائمًا .

غمغم (أكرم) بعصبية :

ـ ومن يمكنه النوم ، فى مقبرة رقمية كهذه ؟!

ثم استطرد ، يسأل (نور) فى اهتمام :

ـ ولكن يسعدنى أنك قد أتيت يا (نور) ، فلدىَّ عشرات الأسئلة ، التى أبحث عن أجوبة لها ، و ...

أوقفه (نـور) ، بوضـع سبَّابته على شفتيه ، ثم تحرَّك فى خفـة ، والتقط غطـاء السـرير ، ثـم راح يفـرده ، فـوق نـافذة الحجرة ، قائلاً :

ـ ساعدنى .

أسرع إليه (أكرم) ، دون أن يسأل عن السبب ، وتعاون معه فى فرد الغطاء ؛ ليخفى النافذة ، وما حولها من الجدار ، ثم همس فـى عصبية :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

أشار (نور) بسبَّابته مرة أخرى ، ثم اتجه نحو جزء من الجدار يحوى جهازًا موسيقيًا منمنمًا ، وأخرج من جيبه قطعة مطاطية ، ألصقها عليه فى عناية ، قبل أن يلتفت فى ارتياح إلى (أكـرم) ، الذى قال فى عصبية أكثر :

ـ هل يمكننى أن أفهم الآن ؟!

أجابه (نور) ، وهو يجلس على طرف الفراش :

ـ بالتأكيد .

وأشار إلى الغطاء ، المعلَّق على الجدار ، مستطردًا :

ـ لقد قضيت وقتًا طويلاً ، أدرس كل تفاصيل حجرتى ، قبل أن أدرك أننا مراقبون .

كاد (أكرم) يصرخ ، وهو يقول فى استنكار :

ـ مراقبون ؟!

أشار إليه (نور) بالهدوء ، وقال :

ـ نعم .. تلك النـافذة تحوى مـا تصوَّرنـا أنـه زجـاج عـاكس ، يسمح لمن فى الداخل برؤية الخـارج ، والعكس غير صحيح .. والمفترض أن هنـاك زرًّا صغيرًا إلى جوارهـا ، لتغيير سطح الانعكاس ؛ عندما يرغب المرء فى الظلام والهدوء ، ولكن الواقع أن الزجاج يعكس الصورة ، ولكن إلى أجهزة رصد خاصة .

سأله (أكرم) ، فى دهشة وتوتر :

ـ وكيف كشفت هذا يا (نور) ؟!

مال نحوه ، مجيبًا :

ـ لو أنك فحصت قاعدة النـافذة جيدًا ، للاحظت تلك المستقبلات الرقمية الدقيقة ، التى تشبه ما كان فى زمننا .

شعر (أكرم) بـالضيق ، من مصطلـح (زمننـا) هذا ، فسأل (نور) فى عصبية ، نشأت من غضبه وتوتره وضيقه :

ـ وماذا عن مشغِّل الموسيقى ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ جهاز تنصُّت منمنم .

تلفَّت (أكرم) حوله ، وقد تضاعف توتره ، وبدا لـه وكأن كل ما حوله ، من تلك الأدوات والأجهزة ، التى يجهلها ويمقتها قد نبتت له آذان وعيون ..

فى منزله ، كل ما يحيط به ، من إنتاج القرن العشرين ..

وليس حتى من عقده الأخير ..

طيلة عمره يعشق النمطية ، والتقليدية ، فى كل ما حوله ..

الأثـاث ..

الأجهزة ..

الديكورات ..

ولقد كان هذا أكثر ما يزعج زوجته (مشيرة) ..

(مشيرة محفوظ) ، صاحبة ورئيسة تحرير جريدة أنباء الفيديو ..

يا إلهى !.. كم يشتاق لها !

كم يشتاق !

ويشتاق ..

ويشتاق ..

كل ما حوله ، يجعله يشتاق إليها ..

وإلى منزله ..

وزمنه ..

وحياته السابقة ..

وفى حنق شديد ، صنعه ذلك المزيد ، مـن غضبـه واشتياقه ، تساءل :

ـ ولكن من يراقبنا يا (نور) ؟!.. ولمـاذا ؟!

صمت (نور) لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ لست أدرى لماذا .. ولكننى أدرك أنهم من يفعلون هذا ..

هتف (أكرم) :

ـ من هم ؟!

أشار (نور) بيده إلى الجدار ، قائلاً :

ـ هـم .

اتسعت عينا (أكرم) ، وشعر بعاصفة عاتية ملتهبة ، تعربد فى عقله ، وبإعصار يكاد يلتهم مشاعره ، فحدّق فى وجه (نور) فى ذهول ، قبل أن يتمتم :

ـ كيف برزت الفكرة فى رأسك ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

ـ منذ البداية ، كانت هناك عشرات الأسئلة ، التى لم أجـد لهـا جوابًا .

تمتم (أكرم) فى حنق :

ـ لست وحدك .

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ أوّلها (أيمن) نفسه .

غمغم (أكرم) :

ـ ذلك الشاب لم يرق لى قط .

نهض (نور) ، قائلاً :

ـ المسألة لا شأن لها بالقبول والرفض ، ولكن هناك جزء من ذاكرتى ، يرفض وجوده بشدة ، بعد أن تمزّق جسده فـى عنـف ، فى مهمة سابقة(*) ..

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. هذا صحيح !.. كيف نسينا هذا ؟!

لوّح (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ لم ننسه ، ولكننا كنـا جميعًا فى حالة ، يمكن أن نطلـق عليها اسم شوشرة ذهنية .. شوشرة كـان من نتائجهـا ، أن اضطربت ذاكرتنا .

صمت لحظة ، ثم رفع عينيه إلى (أكرم) ، مكملاً :

ـ وأصدقك القول : إننى قد بذلت جهدًا خرافيًا ، حتـى أمكننـى استعادة صفاء ذهنى .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، محـاولاً السيطرة بـه علـى أعصابـه الثائرة ، قبل أن يقول فى خفوت ، وكأنه يخشى أن يسمعوه :

ـ أهذا ما أثار شكوكك ؟!

(*) راجع قصة (سادة الكون) ... المغامرة رقم (134) .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ كان هناك أمر يثير حفيظتى ، منذ اللحظة الأولى ؛ فملف (أيمن) لم يكن بالجودة ، التى تسمح بترقيته إلى منصب القائد الأعلى ، الذى لا يبلغه سوى أصحاب الكفاءات المتميزة ..

أشار (أكرم) بسبَّابته ، مكملاً فى انفعال :

ـ وهناك جسده نصف الآلى .

تطلع إليه (نور) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ هذا لم يكن ليصنع فارقًا ، حتى فى زمننا ؛ فمنصب القائد الأعلى يحتاج إلى الرصانة والحكمة والخبرة ، بالإضافة إلى الكفاءة الذهنية ، ولا الجسدية .

قال فى عصبية :

ـ يقولون : إن العقل السليم فى الجسم السليم .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ وهل تؤمن بكل مقولة شهيرة ؟!..

قال فى تحد :

ـ أليست صحيحة ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وأجاب فى حزم :

ـ مطلقًا .. كل مشاهير العلماء ، أو معظمهم على الأقل ، كانوا ضعاف البنية ، على نحو ملحوظ .

غمغم (أكرم) :

ـ أنت أكثر دراية .

ثم استدرك ، مستعيدًا عصبيته :

ثم إن هذه ليست قضيتنا .

قال (نور) فى حزم :

ـ بالضبط .. لدينا قضية أخرى ، شديدة الخطورة والأهمية .

تساءل (أكرم) ، فى حذر قلق :

ـ وهى ؟!

أجابه بمنتهى الحزم :

ـ (محمود) ...

وعلى الرغم منه ، سرت قشعريرة باردة ، فى جسد (أكرم) .. قشعريرة قوية ..

ومثلجة ..

للغاية ..

* * *

فى صمت تام ، واهتمـام شديد ، جلس القائد الأعلى ، للمخابرات التكنورقمية ، يتطلّع إلى شاشة هولوجرامية كبيرة ، تسبح فى سماء حجرته ، حتى سمع ذلك الصوت الأنثوى الناعم ، يهمس :

ـ الرائد (هيثم) .

غمغم ، دون أن يرفع رأسه عن الشاشة :

ـ أدخليه .

تموّج الجدار المواجه له ، وتحوّل إلى شكل ضبـابى ، قبل أن يدلف الرائد (هيثم) ، وهو شاب مفتول الذراعين ، عريض الصدر والفكين ، ممشوق القوام ، يبدو أشبه بالمصارعين القدامى ، ولقد تقدم بوجهه غليظ الملامح ، من القائد الأعلى ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلاً بصوت خشن :

ـ الرائد (هيثم) ، فى خدمتك يا سيِّدى .

أشار القائد الأعلى إلى الشاشة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد كشف الأمر .

تساءل (هيثم) فى توتر :

ـ مـــن ؟!

التفت إليه القائد الأعلى بنظرة صارمة ، فاستدرك فى ارتباك :

ـ أتقصد المقدَّم (نور) ؟!

نهض من خلف مكتبه بحركة حادة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يدور فى المكتب ، قائلاً :

ـ من الواضح أنه أذكى مما تصوَّرنا بكثير .. لقد كشف الكثير من ألعاب التكنولوجيا ، التى تفوق زمنه بثلاثين عامًا على الأقل ، وهذا يشف عن ذكاء ، يتجاوز حتى ما تتحدَّث عنه الأساطير .

قال (هيثم) فى توتر :

ـ ولكننا اتخذنا كل الإجراءات الممكنة ، حتى ...

قاطعه القائد الأعلى بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ من حسن حظنـا ، أنـه حتى عقليتـه المتطوِّرة ، لم يمكنهـا كشف كل ألعابنا .. إنه و(أكرم) لم ينتبها إلى أن تلك الساعة الهولوجرامية ، التى تسبح فى فراغ كل حجرة ، هى فى واقعها ، نظام مراقبة وتنصُّت .

غمغم (هيثم) :

ـ حتى بعض مواطنينـا ، لا يعلمون بأمر هذه التكنولوجيـا المتطوِّرة .

زفر القائد الأعلى فى توتر ، وقال :

ـ لقد رصدت وسجلّت ، كل ما قالوه وفعلوه ، ومن الواضح أن (نور) قد استعاد كامل ذاكرته ، ويسعى لمعرفة مصير زميلهم ، الذى أعدنا طاقته ، من نهر الزمن .

هزّ (هيثم) رأسه نفيًا ، وقال فى خشونة وصرامة :

ـ يمكننا أن نخفيه ، فى أحد أقبيتنا السرية ، فلا يمكنهم التوصّل إليه أبدًا .

قال فى صرامة :

ـ كلاً .. هذا سيضاعف شكوكهم .

قالها ، وضغط زرًا على سطح المكتب ، دون أن يعود إليه ، فاختفت الصورة من الشاشة الهولوجرامية ، وظهرت بدلاً منها صورة كبيرة للمدينة ..

كانت مدينة هائلة ، تحمل نفس الاسم القديم ..

القاهرة الجديدة ..

ولكنها لم تكن تشبه تلك التى تركها (نور) ورفاقه خلفهم ..

كانت تختلف ..

كثيرًا ..

كانت قليلة المبانى ، كثيرة الأطلال ، وأجزاء كاملة منها غطاها السواد ..

سواد كثيف ..

سميك ..

مخيف ..

وهناك ، فى منتصفها ، كان يرتع علم ..

علم ، لا يشبه أيضًا علم (مصر) القديم ..

ولا الحديث ..

ولا يوحى بأدنى قدر من المصرية ..

أو الراحة ..

ولثوان ، ظلّ القائد الأعلى يتطلّع إلى ذلك العلم ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ونحن لا نرغب فى أن يعرفوا الحقيقة .. لا ينبغى أن يعرفوها أبدًا ، ولا حتى أن يفكروا فيها .

شد (هيثم) قامته ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ بِمَ تأمر أيها القائد الأعلى ؟

التفت إليه القائد فى بطء ، وتطلَّع إليه لحظة ، قبل أن يقول :

ـ فلتبق الأمور على ما هى عليه حاليًا ، حتى نعمل على إزالـة شكوكهم .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يشرد ببصره ، مضيفًا :

ـ المشكلة الأساسية هى كيف يمكننى مواصلة لعب دور (أيمن) ، بعد أن ساورته الشكوك بشأنه ؟!.. كيف ؟!

قالها ، وملامحه تتبدَّل ، بتكنولوجيا شديدة التطـوّر ، إلـى ملامح (أيمن) ..

الكهـل ..

الزائف ..

* * *

2ـ محمـود ..

مـع انعدام وسـائل الطاقـة الرئيسـة ، بدا الظـلام حالكـًا ، فـى (القاهرة) الجديدة ، إلا من بضع بقاع من وهج نيران صغيرة ، تشتعل هنا وهناك ، وتألق مصابيح ضوئية محدودة ، فى أمـاكن شتى من المدينة ، التـى كـانت يومًا مـا ، درة العـالم ، فى فترة ما بعد الاحتلال(*) ..

وفى أحد الأحياء ، التى اشتهرت بثرائها فيما مضى ، والتى تحولّت إلى كومة من الأطلال ، فى مرحلة ما بعد الكارثة ، تحرّك أحد الرجال فى خفة ، متسترًا بالأطلال ، وكأنه يختبئ من شىء ما ، وتوقَّف لحظات عند ناصية قديمة ، قبل أن يعدو مسرعًا إلى مبنى نصف متهالك ، لـه بـاب شبه محترق ، ودق البـاب ثـلاث دقـات متتالية ، وانتظر لحظة ، ثم دقه دقتين أخريين ..

ومرَّت لحظة من الصمت والسكون ، قبل أن ينفتح الباب بصرير مزعج ، وتظهر على عتبته فتاة صغيرة ، تساءلت فى براءة :

ـ من القادم ؟!

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (76) .

وعلى الرغم من براءة وبساطة السؤال ، بدا الجواب غريبًا ، عندما قال الرجل ، فى صرامة شديدة :

ـ ذئب البرارى .

وما إن سمعت الفتاة الجواب ، حتى أفسحت له الطريق ، فدلف إلى الداخل فى سرعة ، وهو يسأل :

ـ هل حضر الباقون ؟!

أجابته ، مشيرة إلى الجدار :

ـ كلهم هنا .

اتجه مباشرة نحو الجدار ، ودق عليه مرتين ، فانزلق على نحو هادئ ، كاشفًا حجرة واسعة ، تناثرت فيها أجهزة كمبيوتر قديمة ، نسبة إلى ذلك الزمن ، وتتوسَّطها مائدة مستديرة ، جلس عليها أربعة رجال ، استقبلوا القادم فى ترحاب ، وقال أحدهم فى احترام :

ـ أقلقنا تأخرك أيها الذئب .

أجابه ، وهو يخلع معطفه السميك :

ـ الشوارع لم تعد آمنة أيها الدب .

التقط الرجل معطفه ، وعلَّقه على مشجب بدائى ، ثم عاد إلى المائدة ، قائلاً :

ـ الجميع هنا كما ترى .. الفهد ، والليث ، والتمساح ، وأنا .

اعتدل الذئب فى ارتياح ، قائلاً :

ـ عظيم .. الآن يمكننا وضع القواعد الأساسية ، لما نستعد لعمله .

رفع الليث يده ، قائلاً :

ـ هناك أمر يقلقنى أيها الزعيم .

سأله الذئب فى اهتمام قلق :

ـ وما هو ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ رجال الأمن يبتكرون فى كل يوم وسائل جديدة ، للبحث عنا ، وعلى الرغم من فشلهم حتى الآن ، فلا يمكننا أن نضمن فشلهم طوال الوقت .

سأله الدب :

ـ هل وصلتك معلومات جديدة ، من رجلنا هناك ؟!

تردَّد لحظة ، فصاح فيه الذئب فى غضب :

ـ غير مسموح بإخفاء المعلومات .

شحب وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ لست أحاول إخفاء أية معلومات أيها الذئب ، ولكن المعلومات التى بلغتنى يصعب تصديقها .

قال الذئب فى صرامة :

ـ أخبرنا بها ، واترك لنا تقدير الموقف .

تردَّد الليث لحظة أخرى ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ يقولون : إنهم قد عادوا .

سأله التمساح فى حذر :

ـ من هم ؟!

انخفض صوته بمنتهى الشدة ، وهو يجيب :

ـ الفريق .

لم يحسن أحدهم الاستماع إليه ، فتساءل الفهد فى قلق :

ـ من ؟!

ارتفع صوته أكثر مما ينبغى ، وهو يقول :

ـ فريق (نور) ؟!

حدَّق فيه الكل ، فى ذهول مستنكر ، قبل أن يقول الذئب فى عصبية :

ـ أى قول أحمق هذا يا رجل ؟!.. الفريق الذى تتحدَّث عنه ، أعلن مصرعه رسميًا ، منذ أكثر من ثلاثين عامًا .

أضاف الفهد :

ـ وحتى لو عادوا ، سيكونون قد أصبحوا مجرَّد شيوخ .

هزَّ الليث رأسه فى عصبية ، وقال :

ـ كلاً .. رجلنا أكَّد أنهم عادوا ، فى نفس السن الذى اختفوا فيه ، وكأن الزمن قد قفز بهم إلى هنا ، فى لحظة واحدة .

اتسعت عيونهم كلها فى هلع ، من فرط غرابة الخبر ، وهبط على رءوسهم صمت ثقيل ، استغرق ما يزيد عن الدقيقة ، قبل أن يتراجع الذئب فى مقعده ، ويقول :

ـ الأساطير التى تحاك عنهم ، تقول : إنهم قد فعلوا ما هو أكثر من هذا بكثير .

تمتم التمساح :

ـ ربما هى مجرَّد أساطير .

قال الذئب فى حزم :

ـ أو حقائق ، اكتسبت لغرابتها سمة الأساطير .

ثم استغرق فى التفكير طويلاً ، والكل يراقبه فى صمت ، وينتظر ما سيقول ؛ لثقتهم فى ذكائه ورجاحة عقله ..

ثم فجأة ، اعتدل الذئب ، وقال الليث :

ـ لا بد وأن نجد وسيلة للاتصال بهم .

غمغم الليث فى توتر :

ـ وربما يكشف هذا الاتصال رجلنا .

وقال الفهد :

ـ وربما كشف أمرنا جميعًا .

ولوَّح الدب بيده ، قائلاً :

ـ ثم من يضمن ، لمن سيكون ولاؤهم الآن ؟!.. لقد غابوا أكثر من ثلاثين عامًا ، والعالم لم يعد كما تركوه خلفهم .

أشار الذئب بسبَّابته ، قائلاً فى حسم :

ـ السؤال إذن هو : هل يعلمون ؟!

تطلَّع إليه الجميع ، فى صمت متسائل ، فتابع :

ـ لو أننى فى مكان رجال الأمن ، لَمَا أعلمتهم ، إلا بعد أن أمهِّد للأمر ، على نحو جيد .

قال الليث فى عصبية :

ـ إنهم رجال أمن ومخابرات ، ولن يختلف موقفهم عن موقف السلطات الرسمية حتمًا .

غمغم الذئب ، وكأنه يحدِّث نفسه :

ـ من يدرى ؟!

وشرد ببصره بضع لحظات ، وهو يدير بعض الحسابات المعقَّدة فى رأسه ، قبل أن يميل نحوهم ، قائلاً فى حزم :

ـ جدوا وسيلة للاتصال بأحدهم ، على أى نحو كان .

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، ويضم كفيه أمام وجهه ، مضيفًا :

ـ لا بد وأن يعلموا .

كان من الواضح أن هذا يعنى له الكثير ..

الكثير جدًّا ..

* * *

على الرغم من خطورة منصبه كرئيس لمركز الأبحاث ، اضطرب الدكتور (راشد) كتلميذ هارب ، وهو يقف أمام (نور) ، قائلا :

ـ زميلكم (محمود) ؟!.. ماذا عنه ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة ، قبل أن يجيب (نور) :

ـ نريد الاطمئنان على حالته .. هذا من حقنا .. أليس كذلك ؟!

قال الدكتور (راشد) فى توتر ملحوظ :

ـ بالطبع ، ولكن هذا يحتاج إلى موافقة القائد الأعلى .

حاول (أكرم) أن يقول شيئًا ، ولكن (نور) استوقفه هذه المرة ، وهو يقول :

ـ ولماذا ؟!.. إنه زميلنا .. ومن المفترض أن ..

قاطعه الدكتور (راشد) فى عصبية :

ـ إنه ليس زميلكم .

بدت دهشة مستنكرة ، على وجهى (نور) و(أكرم) ، فاستطرد فى توتر :

ـ ربما تدفعكم العاطفة إلى ما تفعلون ، ولكن الواقع ربما لم ينجح فى تشكيل ذلك الجزء من عقولكم بعد .. ما نحتفظ به ليس زميلكم الذى تعرفونه .. ربما كان نسخة طبق الأصل منه .. وربما تشف جيناته عن أنه كذلك ، ولكن أى تحليل متقدِّم ، سيثبت لكم أنه مجرَّد نسخة من الزوريوم .. نسخة قابلة للانهيار فى أية لحظة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ولكنكم لم تخبرونا بهذا ، عندما استدعيتموه ، من عالم الطاقة ، إلى ذلك الجسم الوهمى .

قال الرجل فى ضيق ، وهو يشيح بوجهه ، وكأنما لا يستطيع مواجهة عينى (نور) :

ـ لا نخبركم إلا بما يمكننا .

تبادل (نور) و(أكرم) نظرة متوترة ، ثم قال هذا الأخير فى غضب ، وهو يهم بإمساك عنق الدكتور (راشد) :

ـ اسمع يا هذا .

أمسك (نور) يده ؛ ليمنعه مما كان يهمُّ بفعله ، وإن لم يستطع منعه من إكمال عبارته الغاضبة :

ـ لو مس صديقى (محمود) أى ضرر على أيديكم ، فلن يكفينى سحقكم سحقًا ، وذَرُّ ما تبقى منكم فى الهواء كالرماد .

وبقدر الرعب ، الذى ارتسم فى عينى الدكتور (راشد) ، كانت دهشة (نور) ..

فالواقع أن (أكرم) لم يلتق (محمود) قط ..

لقد بدأ عمله فى المخابرات العلمية ، بعد أن ضاع هذا الأخير ، فى نهر الزمن(*) ..

ولكنه يعتبره صديقه ..

بل ومستعد لمواجهة كل شىء من أجله ..

عجيب هو (أكرم) هذا !..

هيئته وتصرفاته فى مواجهة الجريمة ، توحى بأنه همجى ، بدائى ، قاس ، لا يرحم أبدًا ..

ولكنه ، فى العلاقات الإنسانية ، إنسان آخر تمامًا ..

إنسان شهم ..

رقيق ..

حسّاس ..

ورومانسى ..

تناقض مدهش ، صنع تلك الشخصية ، التى لم يعد (نور) يشعر بالأمان والقوة ، إلا إذا تآزرت معه ، فى كل مواجهة ..

(*) راجع قصة (الزمن يساوى صفر) ... المغامرة رقم (100) .

التناقض القوى بينهما ، فى أسلوب مواجهة الخطر ، صنع مزيجًا مدهشًا .. قويًّا ..

وناجحًا ..

ومتوازنًا ..

مزيج حقّق انتصارات عديدة ..

وناجحة ..

وفى ذعر ، هتف الدكتور (راشد) :

ـ لا يمكنك أن تمسّنى .. أنا رئيس مركز الأبحاث .

قال (أكرم) فى حدة ، ويده تبحث عبثًا عن مسدسه :

ـ لن يعنينى أو يوقفنى أى منصب فى الدنيا ..

كان الموقف يوشك على التطوّر ، خلافًا لما ينشده (نور) ، لذا فقد قال فى صرامة شديدة :

ـ اصمت يا (أكرم) .

احتقن وجه (أكرم) ، وكأنما يهم بالانفجار فى وجه (نور) ، إلا أنه استطاع بصعوبة كتمان مشاعره ، وغمغم مبتعدًا :

ـ سأترك لكما المكان كله .

ابتسم (نور) متعاطفًا ، وهو يتابعه يبتعد ، ثم التفت إلى الدكتور (راشد) ، يسأله :

ـ ماذا تريدون من (محمود) بالضبط ؟!

أجابه الرجل ، محاولاً كتمان عصبيته :

ـ إنها أوّل حالة من نوعها ، ومن الطبيعي أن نقوم بدراستها ، و ...

قاطعه (نور) بمنتهى الصرامة ، مكررًا :

ـ ماذا تريدون من (محمود) ؟!

امتقع وجه الرجل ، وكأنما ألقى إليه (نور) سؤالاً عسيرًا ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، ثم قال فى بطء :

ـ يمكنك سؤال القائد الأعلى .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وتفرّس ملامح الدكتور (راشد) بضع لحظات ، وكأنما يحاول أن يستشف ما يدور فى ذهنه ، ثم قال فى صرامة :

ـ ماذا تغيّر فى هذا الزمن ، يا دكتور (راشد) ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، وأجاب :

ـ الكثير .

سأله فى سرعة :

ـ مثل ماذا ؟

طال صمت الدكتور (راشد) هذه المرة ، ولكنه لم يحاول أن يبعد عينيه عن عينى (نور) ، ثم لم يلبث أن أجاب فى بطء :

ـ كل الأجوبة تجدها هناك ..

ثم مال نحو (نور) ، وبدا صوته أشبه بالهمس ، وهو يضيف :

ـ عند القائد الأعلى .

قالها ، واستدار على عقبيه ، وانصرف دون أن يضيف كلمة أخرى ..

ولم يحاول (نور) منعه ..

أو حتى استيقافه ..

فقط اكتفى بمتابعته ، وهو يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

أما (أكرم) ، فقد بدا شديد الحنق ، وهو يعود إلى (نور) ، قائلاً :

ـ لماذا يخفون عنا الأمور ؟!

سأله (نور) :

ـ هل كنت تتصت إلينا ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ لم أستطع منع نفسى .

وعلى عكس ما توقَّع ، أجابه (نور) :

ـ أحسنت .

ألجمت الدهشة لسان (أكرم) ، فلاذ بالصمت التام ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) ، الذى تحرك ، قائلاً فى حزم :

ـ لا بد وأن نلتقى بأفراد الفريق ... فورًا .

وكان هذا يعنى أن يجتمع الفريق مرة أخرى ..

فى عالم جديد ..

غريب ..

وغامض ..

للغاية ..

* * *

« لقد خرجوا إلى الحديقة .. »

قال (هيثم) العبارة فى اهتمام ، وهو يقف أمام القائد الأعلى ، الذى تحسَّس ذقنه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ إنهم يبتعدون عن أجهزة المراقبة والتنصُّت .

وصمت لحظة أخرى ، ثم تمتم مستدرجًا :

ـ التى يعرفونها .

وافقه (هيثم) بإشارة من رأسه ، وقال :

ـ لن يمكنهم أن يتصوَّروا ، أن بعض أوراق الأشجار المحيطة بهم ، تراقبهم وتتابعهم طوال الوقت .

ابتسم القائد الأعلى ابتسامة باهتة ، ثم ضغط ذلك الزر على مكتبه ، فظهرت الشاشة الهولوجرامية ، المعلَّقة فى سماء حجرته ، وظهرت عليها صورة (نور) وفريقه ، وهم يسيرون فى حديقة مركز الأبحاث ، التى تحيط بها الأسوار العالية ، شديدة الارتفاع ، والتى تعلوها أجهزة صغيرة يجهلونها ، ولكنها متراصة بترتيب منتظم ..

وفى اهتمام قلق ، سأله (هيثم) :

ـ أليس من الخطر أن نسمح لهم بالتجوال ، فى حديقة المركز ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وأجاب فى بطء :

ـ كلاَّ .

وصمت لحظة مفكرًا ، ثم استطرد :

ـ إننا نحتاج إلى إزالة كل ذرة شك من نفوسهم .

تساءل (هيثم) ، فى خفوت حذر :

ـ بهذه الوسيلة .

أشار القائد الأعلى بيده ، وهو يسأله :

ـ وما عيبها ؟!

قال (هيثم) ، بمنطق أمنى بحت :

ـ يمكنهم رؤية المكان كله من هناك .

ابتسم القائد الأعلى ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ لن يقلقنى أن يروا كل ما داخل الأسوار .

ثم مال نحو (هيثم) تمامًا ..

المهم ألا يروا ما خارج الأسوار ..

ما خلفها ..

فهذا قد يقلب الموقف كله ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

لم يكن أفراد الفريق قد استوعبوا موقفهم الجديد بعد ، عندما فاجأهم (نور) بهذا التطورّ المقلق ..

وبكل القلق والتوتر ، قال (رمزى) :

ـ ولكن ما الذى يمكننا أن نفعله يا (نور) ؟ إننا خارج نطاق علومنا بثلاثين عامًا على الأقل ، ونظرًا لسرعة دوران عجلة التطورّ فى هذا العصر ، فعلومنا ستبدو أشبه بعلوم الإنسان البدائى ، نسبة إلى علومهم .

أضافت (نشوى) :

ـ ثم إننا فى قبضتهم .

قال (نور) فى حزم :

ـ لقد واجهنا ما هو أخطر .

ثم التقى حاجباه فى حزم ، مضيفًا :

ـ وهزمناه .

أشارت إليه (سلوى) ، قائلة :

ـ إننى أتفق معك .

ضرب (أكرم) فخذه براحته فى حنق ، وهو يقول :

ـ آه لو أستعيد مسدسى .

قال (نور) :

ـ حتى لو استعته ، لست أظنك تجد له ذخيرة ، فى هذا الزمن .

مطَّ (أكرم) شفتيه فى حنق ، ثم قال فى اهتمام مفاجئ :

ـ هل لاحظت أن رجال الحراسة هنا ، لا يحملون أية أسلحة يا (نور) .

أجابه (نور) :

ـ لا يحملون أية أسلحة نعرفها .

انعقد حاجبا (أكرم) فى ضيق ، وهمهم بكلمات غير مفهومة ، فى حين قالت (سلوى) :

ـ ولكن .. أليس من الضرورى أن نفهم علومهم أولاً يا (نور) ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ كلاَّ .. سيستغرق هذا وقتًا طويلاً ؛ فكما قال (رمزى) ، إنهم سيبدون أشبه بحضارة متقدِّمة ، تحاول حضارة سابقة فهمها .

ثم ابتسم ابتسامة غامضة ، مكملاً :

ـ ولكننا سنستخدم علمًا ، يصعب أن يتطوَّر بسرعة .

سألته (نشوى) فى دهشة :

ـ أى علم هذا ؟!

أشار بيده إلى (رمزى) ، مجيبًا :

ـ علم الإنسان .

وبدت عبارته غامضة للغاية ..

ولكنها مثيرة للانتباه ..

بشدة ..

* * *

راجع القائد الأعلى هذا الحوار عدة مرات ، وهو يدير المشهد على الشاشة الهولوجرامية عدة مرات متتالية ، ثم أوقفه عند نقطة بعينها ، وتراجع فى مقعده مفكرًا .. ترى ما الذى يعنيه بالضبط ؟!..

إنه لم يذكر شيئًا ..

فقط تطلَّع إلى (رمزى) فى صمت ..

فقط !!

وهذا ربما يعنى ...

قبل أن يستطرد فى تساؤله ، انبعث ذلك الصوت الأنثوى الهامس :

ـ الرائد (طارق) يطلب الإذن بالمقابلة .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى توتر ، عندما سمع الاسم ..

الرائد (طارق) يطلب الإذن بمقابلته !..

فماذا يريد ؟!..

وفقًا لما يعرفه عنه ، فظهوره يمكن أن يؤدى إلى مزيد من التعقيد فى اللعبة ..

ومنعه من المقابلة ، قد يزيد تعقيدها أكثر ..

شعر بالحنق ، عند هذه النقطة ، خاصة وأنه يدرك جيدًا من هو (طارق) ، ومدى ما يدين به من ولاء لأسرته ، حتى ولو عادت بعد ثلاثين عامًا ..

ولكن الحكمة كانت تستلزم ألا يمنعه من الدخول .. أبدًا ..

وفى توتر ، قال :

ـ له الإذن بذلك .

تموّج الجدار ، واختفى تمامًا ، ليدلف الرائد (طارق) ، فى خطوات عسكرية ثابتة ، ويؤدى التحية فى قوة ، قائلاً :

ـ الرائد (طارق) فى خدمتك يا سيّدى .

تجاهل النظر إليه ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ ماذا تريد ؟!

صدم الأسلوب (طارق) ، فقال بأسلوب عسكرى بحت :

ـ لماذا تم إعفائى من متابعة فريق (نور) يا سيّدى ؟!

أجابه بنفس الصرامة :

ـ ليس من حقك حتى أن تلقى السؤال .. المفترض أن تنفذ الأوامر دون مناقشة .

قال (طارق) فى إصرار :

ـ لن تجد هناك من يفهم شئونهم أفضل منى يا سيّدى .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ولن نجد من يتعاطف معهم ، ويغلّب مصلحتهم على المصلحة العامة مثلك .

اتسعت عينا (طارق) لحظة ، على نحو أشبه بالذعر ، ثم لم يلبث أن استعاد ثباته ، وهو يقول :

ـ كنت أتصوّر أن مصلحتهم لا تتعارض مع المصلحة العامة .

هب القائد الأعلى من خلف مكتبه بحركة حادة ، قائلاً فى حدة :

ـ وماذا لو تعارضت ؟!..

ولم يجب (طارق) ..

إنه لم يتخيّل مثل هذا الموقف أبدًا ..

أن تتعارض مصالح أسرته ، التـى تعتبر أقوى فريق أمنـى ، فى تاريخ (مصر) ، مع مصلحة (مصر) نفسها ..

ولكن ، إذا ما حدث هذا ، فهو يجهل إلى أى فريق سينحاز بالضبط ؟!..

إلى أمـه ، ووالده وجديه ..

أم إلى (مصر) ؟!..

لا يمكنه أن يجزم أبدًا ..

مهما حاول ..

وبنفس الصرامة ، قال القائد الأعلى :

ـ تعلم أننى على حق .. أليس كذلك ؟!

أجاب فى حذر :

ـ لست أتصوّر أن ...

قاطعه القائد الأعلى ، بمنتهى الصرامة :

ـ ليس المهم ما تتصوّره .

ولم يعترض (طارق) ..

بل ، لم ينبس ببنت شفة ..

القواعد الأمنية ، التى تربى عليها ، كانت تحتم هذا .

لا مناقشة للأوامر ..

ولا أسئلة ..

أو اعتراضات ..

وفى أسف ، غمغم :

ـ كما تأمر يا سيدّى .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ستنضم ، اعتبارًا من اليوم ، إلى دوريات مكافحة التمرد فى المدينة ، ولمدة أسبوعين مبدئيًا .

شعر (طارق) بأنه يعاقبه على أسئلته ، فقال فى مرارة مكررًا :

ـ كما تأمر يا سيدّى .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

نفذ الأمر حالاً ..

أدّى التحية العسكرية فى احترام ، واستدار على عقبيـه لينصرف ، وتموّج الجدار مرة ثانية بعد انصرافه ، ثم عاد يتجسّم ، فانتظر القائد الأعلى لحظات ، ثم لوّح بيده فى الهواء ، فظهرت فى موضع تلويحته شاشة اتصال هولوجرامية صغيرة ، وظهر عليها وجـه

(هيثم) ، وهو يقول :

ـ فى خدمتك أيها القائد .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كما توقعنا .. الرائد (طارق) بدأ يصبح مثار قلق شديد .

سأله (هيثم) فى حسم :

ـ وبِمَ تأمر ؟

صمت لحظة ، ثم أجابه :

ـ لقد ألحقته بالدورية المدنيَّة نفسها ، التى تقودها ، مما يعنى أنه سيخرج بصحبتك ، اعتبارًا من اليوم .

سأله (هيثم) :

ـ أهذا يكفى ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ المتمردون يشنون غارات عنيفة ، على الدوريات المدنية طوال الوقت ، ومن الطبيعى أن تتعرَّض دوريتكما لهجوم مباغت ، فى أية لحظة .

تساءل (هيثم) فى حماس :

ـ وعندئذ .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ وعندئذ ، يأتى دورك .

ثم تراجع فى مقعده ، وأردف :

ـ وتتخلَّص منه .

وتألقت عيناه ، مع نهاية العبارة ..

وتألَّقت عينا (هيثم) ..

فهذا يعنى نهاية أحد أفراد أسرة (نور) ..

الفرد الوحيد ، الذى ينتمى فعليًا إلى ذلك الزمن .. إلى المستقبل .

* * *

3ـ المتمـــردون ..

فى بطء ، أشرقت الشمس على أطلال (القاهرة) الجديدة ، وراحت أشعتها الذهبية تنتشر ، وتضىء لمحات من تلك الأطلال القديمة ، التى ـ وعلى الرغم مما تدعو إليه هيئتها من كآبة ـ بدت أكثر تألقًا ، فى ضوء النهار ..

ومن أماكن مختلفة من الأطلال ، ظهر رأس بشرى ..

ثم ثان ..

وثالث ..

وعشرات ..

ومئـــات ..

وألوف ..

وكما كان يحدث ، منذ آلاف السنين ، بدأت الحياة مع مطلع الشمس ..

وبسرعة مدهشة ، تحوّلت الأطلال إلى شعلة نشاط ..

أسواق ..

ومـارة ..

وبيـع ..

وشراء ..

وحوارات ..

ومشاجرات ..

وهمسات ..

وحتى تآمرات ..

ووسط أحد الأسواق المزدحمة ، راح أحد الباعة ينادى على بضاعته ، كما كان يحدث فى العصور القديمة ، حتى اقترب منه رجل ضخم الجثة ، وتظاهر بتقليب بعض البضائع ، على الأسلوب القديم ، قبل أن ينتهز فرصته ، ويهمس للبائع :

ـ الأخبار صحيحة .

رفع البائع عينيه إليه ، وهمس فى لهجة صارمة آمرة ، وكأنما اعتاد الزعامة :

ـ اتبعنى .

ثم هتف بأحد معاونيه :

ـ خذ مكانى .

وعاد يخاطب الضخم بصوت مرتفع ، سمعه الجميع :

ـ البضائع التى طلبتها وصلت ، ولست أدرى ، إذا كانت مطابقة للمواصفات أم لا .. انظر بنفسك .

قاده إلى الداخل ، حيث منزل جيد التأثيث ، إلى حد كبير ، بالنسبة إلى ذلك المشهد فى الخارج ، وما إن دخلاه ، حتى أغلق بابه خلفهما فى إحكام ، والتفت إلى الضخم ، متسائلاً :

ـ هل تأكّدت شخصيًا أيها الدب ؟!

قال الدب بنفس الاهتمام :

ـ من المستحيل التأكُّد شخصيًا أيها الذئب ؛ فعبور الأسوار العالية أمر غير ممكن كما تعلم ، ولكن رجلنا هناك استخدم تلك الوسيلة السرية فى الاتصال ، وأرسل لى صورة لهم ، داخل الحديقة .

وأخرج من جيبه كرة ، وضعها على المائدة ، ولمس طرفًا منها ، فانبعثت من قمتها دفقة من الإشعاع ، رسمت صورة ثلاثية الأبعاد لأفراد الفريق ، وهم يتناقشون ، داخل تلك الحديقة الواسعة ، فتطلّع إليها الذئب فى دهشة بالغة ، وراح يتابع الحركة بضع لحظات ، قبل أن يجلس على مقعد قريب ، ويقول :

ـ من كان يصدّق أن يعودوا ؟!

تمتم الدب :

ـ ولكنهم عادوا .

غرق الذئب فى أفكاره بضع لحظات ، وقال :

ـ لو علم الشعب بهذا .

قال الدب فى حماس :

ـ يمكننا أن نصنع عشرات النسخ من هذا الفيلم ، و ...

قاطعه الذئب فى صرامة :

ـ كلاً ..

ثم نهض بحركة حادة ، وأضاف :

ـ تلك الأمور يسهل تزييفها الآن ، وهذا ما سيقولونه عندئذ ، خاصة وأنه من المستحيل ، بالنسبة للعامة ، أن يستوعبوا أمر عودة فريق أسطورى ، بعد أكثر من ثلاثة عقود من الزمن .. هذا يفوق قدرتهم على التفكير .

وصمت لحظة ، ثم أكمل فى توتر :

ـ ثم إن هذا سيكشف رجلنا حتمًا ، ونحن نحتاج إليه ، داخل تلك الأسوار ، حتى اللحظة الأخيرة .

وعاد إلى صمته وتفكيره ، قبل أن يستطرد :

ـ إننا نعتمد عليه تمامًا ، لتحقيق ما نصبو إليه .

وافقه الدب بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح .

ثم استطرد فى حدة :

ـ ولكن كيف نستفيد منهم ؟!

وصمت لحظة ، ثم استدرك فى سرعة :

ـ هذا لو أنه بإمكاننا الاستفادة منهم .

غرق الذئب فى تفكيره طويلاً ، وراح يدير الأمر فى رأسه من كل الوجوه ، قبل أن يرفع عينيه إلى الدب ، قائلاً :

ـ قالوا : إنهم سيعيدون تشغيل محطات الطاقة ، فهل اتخذوا خطوات فى سبيل هذا ؟!

أجابه الدب فى أسف :

ـ إنهم يحاولون ، ولكن كلما بدءوا فى إصلاح بعضها ، راحت الميليشيات تهاجمها ، وتفسد ما أصلحوه .

مطَّ الذئب شفتيه ، وغمغم :

ـ للأسف .

راح يدور فى المكان ، وقد غرق فى تفكير عميق ..

الموقف متدهور بالفعل ...

تلك الحروب العنيفة ، التى دارت ، بعد الكارثة الكبرى ، أفسدت الكثير .. لقد ضعفت قدرات (مصر) كثيرًا بعدها ، مما شجَّع القوى الأخرى على مهاجمتها .. ومحاولة احتلالها ..

ولقد قاتل المصريون من أجل حريتهم ..

قاتلوا ..

وقاتلوا ..

وقاتلوا ..

عشرون عامًا من القتال ..

والحروب ..

والدمار ..

ثم انتصروا ..

انتصروا وفازوا بحريتهم ..

وخسروا كل شىء آخر ..

كل محطات الطاقة تم نسفها ..

كل الطرق ..

والجسور ..

والمنشآت ..

كانت حربًا طاحنة ، أعادت البشر أكثر من ألف عام إلى الوراء ..

وبعد أن كانت التكنولوجيا قد بلغت أوجها ، انحدر كل شىء دفعةً واحدة ..

قلة فقط ، أمكنها الحفاظ على ما بلغته التكنولوجيا ..

ولكن المصانع العامة ، والمعامل ، والمختبرات كلها دمرت ، ولم يعد من الممكن منح التكنولوجيا ، وإتاحتها للجميع ، كما كان يحدث من قبل ..

لذا ، فقد اقتصرت التكنولوجيا على الخاصة ..

فقط الخاصة ..

وبعدد محدود للغاية ..

أما العامة ، فى كل الدول ، فلم يحظوا بشىء ..

أى شىء ..

وهكذا ، انقسم العالم ، بعد آلاف السنين من الصراعات ، إلى قسمين كبيرين ، فى كل دولة .

خاصة ، يعيشون حياة نهايات القرن الحادى والعشرين ..

وعامة ، يغرقون فى الظلام ..

والبدائية .

والعنف ..

ميليشيات عديدة ، ظهرت فى كل دولة ، ومن كل التيارات ..

ميليشيات تتقاتل ..

وتتنافس ..

وتتصارع ..

وللأسف .. تدمِّر ..

فى البداية، كان لكل منها هدف ..

وطريق ..

واتجاه ..

ومبادئ ..

ثم ، ومع الوقت ، أصبح صراع قوة ..

قوة فحسب ..

أصبحت مجرَّد ميليشيات تتصارع ، من أجل أن تبلغ إحداها قمة السلطة ، وأن تنجح فى السيطرة على الآخرين ..

أو هزيمتهم ..

أو حتى محوهم من الوجود ..

ومع صراعهم ، ورغبة كل منهم فى الوصول إلى السلطة ، تدهورت الأوضاع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

استعاد ذهن الذئب كل هذا ، وهو غارق فى تفكيره أمام الدب ، ثم لم يلبث أن انتزع نفسه من أفكاره ، وقال فى حزم :

ـ ولدَىَّ خطة ..

واستمع إليه الدب ..

وبمنتهى الاهتمام ..

والقلق ..

* * *

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، عندما سمع ذلك الصوت الأنثوى الهامس الآلى ، وهو يعلن اسم الشخص ، الذى يطلب الإذن بالمقابلة ، وتساءل بصوت مرتبك ، ربما لأوَّل مرة فى حياته :

ـ من ؟!

كررَّ ذلك الصوت الهامس :

ـ الدكتور (رمزى) ، يطلب الإذن بالمقابلة .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يحاول دراسة واستيعاب هذا الموقف غير المتوقَّع ..

لماذا يطلب الدكتور (رمزى) مقابلته ؟!..

بل لماذا يطلب أحد الأعضاء غير المقاتلين ، بأى فريق علمى ، مقابلة القائد الأعلى للمخابرات العلمية شخصيًا ؟!

لماذا ؟!

الآن فهم سر تلك النظرة الصامتة ، بين (نور) و(رمزى) ..

الآن فقط ، فهم كيف يتعامل أفراد الفريق ..

لقد فهم كل منهم الآخر ، حتى لم تعد هناك بينهم حاجة للكلام ..

تكفيهم نظرة ..

نظرة واحدة ..

صغيرة ..

وسريعة ..

نظرة لا يفهمها من حولهم ..

ولكنهم يفهمونها ..

ويستوعبونها ..

وينفذون فحواها ..

فـورًا ..

تلك النظرة ، هى حتمًا التى قادت (رمزى) إليه ..

ولكن لمـاذا ؟!

هذا هو السؤال ..

ولكن إجابته ليس لها سوى سبيل واحد ..

أن يلتقى (رمزى) ..

فـورًا ..

« اسمحى له بالدخول .. بعد دقيقتين من الآن .. »

قالها ، ونهض من مقعده ، إلى نقطة بعينها ، توقَّف عندها لحظات ، فتبدلت ملامحه ، على نحو متموِّج هادئ ، لتصبح شبيهة بملامح (أيمن) ، إذا ما تقدَّم به السن ، ثم عاد إلى ما خلف مكتبه ، المصنوع من مادة شبه شفافة ، وقال بلهجة حازمة :

ـ الآن .

لم يكد ينطقها ، حتى تموَّج الجدار كالمعتاد ، وظهر (رمزى) ، وهو يتقدَّم مرتبكًا ، ويشير بيده ، قائلاً :

ـ معذرة أيها القائد الأعلى ، ولكنها أوَّل مرة ألتقى فيها بمن هو فى رفعة منصبك ، و ...

قاطعه فى صرامة :

ـ طلباتك يا دكتور (رمزى) .

ظلَّ (رمزى) مرتبكًا لحظات ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ (محمـود) .

سمعها القائد الأعلى فى وضوح ، على الرغم من خفوتها ، ولكنه سأل :

ـ مـن ؟!

حاول (رمزى) أن يتماسك ، أو هكذا بدا ، وهو يقول :

ـ (محمود) .. زميلنا السابق (محمود) ... لقد أتيت بشأنه .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ ماذا عنه ؟!

راح (رمزى) يلوّح بذراعيه ، وهو يقول :

ـ الرفاق يودّون رؤيته والاطمئنان عليه ، ولا يصدقون حتـى أنـه قد عاد ، ويخشون أن تريدوا به ضررًا .

أجابه بنفس الصرامة :

ـ لسنا نريد به أى ضرر .

سأله فى قلق واضح :

ـ لماذا تحتفظون به ، وتخفونه عنا إذن ؟!

صمت القائد الأعلى طويـلاً ، عنـد هـذا السؤال ، وتطلّع إلـى (رمزى) لحظات ، فى اهتمام شديد ، قبل أن ينهض من خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنكم قد أسأتم الفهم .

واتجه نحوه ، ليضع يده على كتفه ، مستطردًا :

ـ الموجود لدينا ليس زميلكم الذى عرفتموه ، وإنما هو نسخة حيوية ، تحوى طاقة زميلكم ، ولقد صدم جمودها (نور) نفسه فى البداية ، لذا فنحن نسعى لفهم طبيعته الحالية ، وانعاش الذكريات ، التى اختزنتها طاقته ، وهذا يستدعى عمل فريق علمى كامل ، فى ظروف تعزله عن المؤثرات الخارجية تمامًا ، ووجودكم إلى جواره ، أو حتى رؤيتكم له ، يتعارض تمامًا مع ما يدور الآن ، ولهذا نمنعكم من الاتصال به ، بأية وسيلة من الوسائل .

تطلّع (رمزى) إلى عينيه مباشرة ، وهو يسأله :

ـ فقـط ؟!

أجابه بابتسامة مرسومة :

ـ فقـط ؟!

صمت (رمزى) لحظات أخرى ، قبل أن يخفض عينيه ، قائلاً :

ـ لا نرغب حتمًا ، فى فعل ما يتعارض وصالحه ، لذا ...

لم يكمل عبارتـه ، ولكنها بدت شديدة الوضوح ، حتـى إن القائد الأعلى ربّت عليه مرة أخرى ، مغمغمًا :

- قرار حكيم .

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، وهمهم بكلمات غير مفهومـة ، قبل أن ينصرف ، والقائد الأعلى يتابعه ، بنفس الابتسامة المرسومة ..

ولقد ظلّ (رمزى) صامتًا جامدًا ، وهو يجتاز كل نظم الأمن الرسمية ، حتى وصل إلى الحديقة ، حيث اجتمع الفريق ، وما أن انضم إليهم ، حتى نظر إلى (نور) مباشرة ، وقال فى هدوء :

- سلبى .

وفهم (نور) على الفور ..

وكذلك فهم الباقون ..

فمهمة (رمزى) كانت محدودة للغاية ..

وتناسب خبراته تمامًا ..

فلقد ذهب إلى القائد الأعلى ، ليحصل على جواب سؤال واحد ..

أهم صادقون ؟!..

ولأنه خبير نفسى ، لا يشق له غبار ، ولأن الطبيعة البشرية لا تتغيَّر أبدًا ، منذ عصر الإنسان البدائى ، وحتى نهاية الكون ، فقد أدرك الحقيقة على الفور ..

أدرك أن القائد الأعلى يكذب ..

ولسبب ما ..

سبب ما زال غامضًا ..

مقلقًا ..

ومخيفًا ..

ويحتاج إلى تحرُّك الفريق كله ، من أجل بلوغه ..

ولكن فى نفس اللحظة ، التى كان (رمزى) يوجِّه فيها كلمتـه ، إلى (نور) كان القائد الأعلى يغمغم ، وهو يمرِّر يده على جزء من سطح مكتبه ، وهو يغمغم :

- مشكلتهم أنهم يجهلون تمامًا ، كم تطوَّرت أجهزة كشف الكذب ، فى هذا العصر !..

قالها ، وهو يستعيد اللحظات ، التى فحص فيها (رمزى) ، بالعدسات اللاصقة الخاصة ، التى ألصقها على عينيه ، والتى قامت بعمل تحليل طيفى خاص ، لانفعالات هذا الأخير ، وهو يتحدَّث إليه ، والقرص الحسَّاس المنمنم ، الذى ألصقه براحته ، لينقل كل التغيرات الفسيولوجية ، التى طرأت عليه أثناء حديثه ..

وكل هذه الوسائل أثبتت أمرًا واحدًا ..

أن (رمزى) كان يكذب ..

وأن السؤال عن (محمود) ، لم يكن السبب الرئيس لزيارته ..

وهذا يعنى أن عودة فريق (نور) أصبحت أمرًا شديد الخطورة .

أمرًا ، يستلزم اتخاذ قرار حاسم ، بشأن (نور) وفريقه ..

قرار بإزاحتهم عن الطريق ..

إزاحتهم تمامًا ..

ونهائيًا ..

* * *

على الرغم من أن (طارق) قد التحق بالمخابرات العلمية ، فور تخرجه تقريبًا ، احترامًا لتاريخ جده الأسطورى ، إلا أنه لم يألف تلك الدوريات المدنية أبدًا ..

كان يشعر ، وهو يجوب طرقات المدينة المتهالكة ، مع فريق من رجاله ، أنه أشبه بجنود الاحتلال ، الذين يحاولون حماية وجودهم ، وليس مجرَّد رجل أمن يؤدى مهمته ، كما هو مفترض ..

لذا ، فقد ظلّ صامتًا ، وهو يجلس إلى جوار (هيثم) ، فى سيارة الدورية المصفَّحة ، والمزوَّدة بعدد من أحدث الأسلحة الفتّاكة ، فسأله هذا الأخير مبتسمًا :

ـ غاضب ؟!

أومأ برأسه ، ولكنه أجاب :

ـ إننى أنفذ الأوامر .

لوَّح (هيثم) بيده ، قائلاً :

ـ لست أظن وجودك فى الدورية سيستغرق طويلاً .. لقد اعتدت العمل ميدانيًا ، وسرعان ما سيعيدونك إلى الميدان .

غمغم (طارق) ، وهو يشيح بوجهه :

ـ إنهم يعتبرون هذا أيضًا ميدانًا .

أجابه (هيثم) فى سرعة :

ـ إنه كذلك .

انتبه إلى معنى ما قاله ، فاستدرك فى سرعة :

ـ من وجهة نظرهم بالطبع .

صمت (طارق) لحظات ، ثم سأله فى ضيق :

ـ هل تمضى الدوريات كلها على هذا النحو ؟!

قالها ، وهو يتابع سيارة الجنود ، التى تنطلق خلفهما ، عبر مرآة السيارة الجانبية ، فأجاب (هيثم) :

ـ كثيرًا ما يهاجمنا المتمردون ، ولكننا اعتدنا أن ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يوقف السيارة بحركة حادة ، فسأله (طارق)فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار (هيثم) إلى أطلال قريبة ، قائلاً :

ـ لقد لمحت أحدهم هناك .

التفت (طارق) إلى حيث أشار ، ولكنه لم يلمح أحدًا ، فعاد إليه ، متسائلاً فى حيرة :

ـ ماذا فى هذا ؟!.. المفترض أن المدينة مأهولة بالسكان .

سحب (هيثم) مسدسه الترودّى ، وهو نوع شديد التطوّر من مسدسات الليزر القديمة ، وهو يثب خارج السيارة :

ـ ولكن وجهه يبدو مألوفًا .. لا ريب فى أنه أحد زعمائهم .

تساءل (طارق) ، وهو يلحق به ، دون أن يسحب مسدسه :

ـ زعماء المتمردين ؟!

أجابه (هيثم) فى حزم :

ـ بكل تأكيد .

شعر (طارق) بشىء من الضيق ، مع اضطراره لمطاردة أحد زعماء المتمردين ، الذين يؤمن بأن الضغط الحكومى غير المبرَّر ، هو الذى دفعهم إلى هذا ، ولكنه كتم شعوره هذا فى أعماقه ، وتبع (هيثم) إلى الأطلال ، وهذا الأخير يشير إلى الجنود ، فى السيارة خلفهما ، هاتفًا :

ـ حاصروا المكان .

غمغم (طارق) ، وهما يدلفان معًا ، إلى ذلك المبنى المتهدِّم وسط الأطلال :

ـ هل سنطارده وحدنا ؟!

قلب (هيثم) شفتيه ، وقال :

ـ وهل يحتاج زعيم المتمردين ، لأكثر من ضابطين ؟!..

لم يحاول (طارق) التعليق ، ولكنه أضاء مصباحه اليدوى ذاتى الطاقة ، وتبع (هيثم) فى حذر :

كان المكان شديد الإظلام فى الداخل ، فراحا يسيران فى حذر عبر ممراته ، على الرغم من ضوء مصباحيهما ، حتى بلغا حجرتين متجاورتين ، فأشار (هيثم) إلى الأخرى ..

وفى حذر شديد ، دلف (طارق) إلى الحجرة ، وهو يصوِّب ضوء مصباحه اليدوى داخلها و ...

وفجأة ، وقع ضوء المصباح على رجل نحيل ، يلتصق بالجدار ، عند ركن الحجرة ، ويرتجف فى شدة ..

شىء ما فى مظهره ، جعل (طارق) يشعر بالشفقة تجاهه ، فسأله فى شىء من الهدوء ، وبصوت حاول أن يجعله مطمئنًا :

ـ ماذا تفعل هنا ؟!

بدا الرجل شديد التوتر ، وهو يغمغم بصوت مرتجف :

ـ أطيع الأوامر .

بدا له الجواب عجيبًا ، فسأل ، فى حذر أكثر :

ـ أوامر من ؟!

أشار إلى نقطة ما خلفه ، مجيبًا فى رعب :

ـ الرائد (هيثم) .

لم يكد ينطقها ، حتى انطلقت نبضات الليزر القاتلة فجأة ، عبر فراغ الحجرة ، لتنسف رأس المسكين ، فى مشهد بشع رهيب ، ولتتناثر دماؤه الساخنة على وجه وملابس (طارق) ، الذى استدار فى سرعة ، وانتفض جسده كله بمنتهى منتهى العنف ..

لقد كان (هيثم) يصوِّب مسدسه إلى جبهته مباشرة ..

ويضغط الزناد .

* * *

4ـ أصل اللغة ..

على الرغم من وجودهم داخل الحديقة الواسعة ، ومن ضوء الشمس الذى يغمرهم ، تحت سماء صافية ، لم يشعر (نور) أو فريقه بأى ارتياح ، و(سلوى) تقول :

ـ لست أدرى لماذا أشعر أنهم يراقبوننا !

قال (نور) ، فى هدوء عجيب :

ـ أنا واثق أنهم يفعلون .

تلفَّت (أكرم) حوله ، فى توتر شديد ، وهو يقول :

ـ وكيف هذا ؟!.. نحن وسط الحديقة ، والأشجار تحيط بنا من كل صوب .

قالت (نشوى) ، وهى تمنع نفسها فى صعوبة من أن تتلفَّت مثله :

ـ لا ريب فى أن كل شىء قد شهد ثورة هائلة ، خلال ثلاثين عامًا من التطوّر .

وافقها (رمزى) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ ثلاثة أعوام كانت تكفى ، مع عجلة التطوّر الرهيبة ، حتى نجهل تمامًا ما يحدث حولنا .

قالت (نشوى) :

ـ بالتأكيد .. إننى خبيرة كمبيوتر ، وما زالت عاجزة عن فهم تلك الأقراص الصغيرة ، التى تنبعث منها أجهزة الكمبيوتر الهولوجرامية بعد .

غمغم (نور) بنفس الهدوء :

ـ ستفهمينها بسرعة بإذن الله .

حدَّق فيه (أكرم) لحظة فى دهشة ، ثم قال فى حدة :

ـ (نور) ... ما سر هدوءك المستفز هذا ، على الرغم من ثقتك فى أنهم يراقبوننا طوال الوقت .

نظر إليه (نور) فى هدوء ، دون أن يجيب تساؤله ، ثم قال للجميع :

ـ هل تذكرون تلك اللغة ، التى ابتكرناها فى مقر الفريق ، ولا يعرفها سوانا ، وتصورنا أنه سيأتى يوم ، نحتاج فيه إليها حتمًا .

تألَّقت عيونهم فى فهم ، وقال (رمزى) فى حماس :

ـ لقد أتى هذا اليوم .

أشار (نور) بيده ، وهو يبتسم ابتسامة غامضة ، ثم قال شيئًا لرفاقه ..

شىء لا يشبه أية لغة معروفة ..

لغة ليست ضمن اللغات الحية ..

أو حتى الميتة ..

بل ولا تشبه حتى لغة (أرغوران)(*) ..

ولكن كل رفاقه فهموه ..

وتحدثوا إليه باللغة نفسها ..

وأمام تكنولوجيا المراقبة والتنصُّت شديدة التطوّر ، راحوا يناقشون ما حولهم ، ويضعون خطتهم ، وكل هذا بلغتهم .. لغتهم الخاصة ..

جدًّا ..

* * *

فى رد فعل سريع ، وهبته إياه جيناته الوراثية ، استوعب عقل (طارق) الموقف كله ، فى جزء من الثانية ، ومال برأسه جانبًا ، فى الجزء الثانى منها ..

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) ... المغامرة رقم (59) .

وضغط (هيثم) زناد مسدسه التردُّدى ..

وانطلقت النبضات القاتلة ..

ولكنها تجاوزت رأس (طارق) ، بأقل من سنتيمتر واحد ..

وأصابت النبضات الجدار ، ونسفت جزءًا منه فى عنف ..

وعلى الرغم من الارتجاج الرهيب ، الذى أصاب أذنه من مجرَّد مرور النبضات إلى جواره ، وثب (طارق) نحو زميله (هيثم) ، قبل أن يطلق هذا الأخير طلقة أخرى قاتلة ..

وسقط كلاهما أرضًا ..

وبعضلاته المفتولة ، أمسك (هيثم) (طارق) ، قائلاً فى شراسة ، لم يفصح عنها من قبل قط :

ـ كنت طيلة عمرك تنفر من بناء العضلات .

وانتزع (طارق) من فوقه فى قوة ، وألقى به نحو الجدار ، مستطردًا :

ـ وتُفضِّل بناء العقل .

ارتطم (طارق) بالجدار فى عنف ، وسقط أرضًا ، و(هيثم) ينهض بقامته المديدة ، مكملاً :

ـ فهل أفادك العقل اليوم ؟!

درس عقل (طارق) الموقف فى سرعة ..

درس موقعه ..

وموقع (هيثم) ..

وفارق القوة الواضح بينهما ..

وألقى نظرة سريعة على الجدران ..

ثم تحرَّك فى سرعة ، فى نفس اللحظة ، التى رفع فيها (هيثم) مسدسه ، ليطلق عليه مرة ثانية ..

وقبل أن يضغط (هيثم) الزناد ، وثب (طارق) إلى الجدار المقابل ، وضربه بقدمه ، ثم دفع جسده إلى أعلى ، وحرَّك ساقيه فى سرعة مدهشة ، جعلته يبدو كما لو أنه يسير على السقف ، وهو يدور حول نفسه ، فى رشاقة مدهشة ، ثم يركل (هيثم) بقدميه معًا ، فى صدره وأنفه ، بمنتهى القوة ، فى لحظة واحدة ..

وانطلقت نبضات مسدس (هيثم) مرة أخرى ..

وتفجَّر جزء آخر من الجدار ..

ودار (طارق) دورة أخرى ، وركل (هيثم) فى ظهره بكل قوته ، ثم أحاط عنقه بساقيه ، ولواهما فى قوة ، فدار معهما جسد (هيثم) مرغمًا ، حتى لا يتحطم عنقه ، وهو يهتف فى سخط هائل :

ـ أيها الـ ....

لم يستطع إتمام عبارته ، عندما ارتطم رأسه بالأرض فى عنف ، فتفجَّرت الدماء من جرح فى جبهته ، وامتزجت بالدماء التى تسيل من أنفه المكسور ، وحاول أن يكمل سبابه الساخط ، ولكنه تلقى لكمة شديدة العنف ، أسقطته فاقد الوعى ، فنهض (طارق) على قدميه ، ولهث وهو يقول :

ـ وهل أفادتك العضلات ؟!

استند إلى الجدار ، وراح يواصل لهاثه لحظات ، وهو يحاول استيعاب المنطق البشع ، الماثل أمامه ..

زميله حاول قتله ..

رتَّب ودبَّر للأمر ، وأتى به إلى هنا لقتله ..

السؤال هو لماذا ؟!..

لماذا يحاول زميل ، لم تكن له به قط أية علاقة قوية سلبية أو إيجابية ، القضاء عليه ، على هذا النحو ؟!..

الخطة بدت له واضحة للغاية ..

يدّعى أن إرهابيًا يختبئ فى الأطلال ..

ويتبعه معه ..

ثم يقتلهما معًا ..

وفى التقارير الرسمية ، سيعلن حتمًا أن أحد المتمردين قد قتله ، فقام هو بقتله ..

وأمام المحققين ، ستكون هناك جثتان ..

جثته ..

وجثة ذلك المسكين ، الذى كان يرتجف خوفًا ..

ولن يكون هناك شاهد آخر على الجريمة ..

وسيغلق الملف حتمًا ..

وينتهى أمره إلى الأبد ..

ولكن لماذا ؟!

لماذا ؟!..

لماذا ؟!..

لم يستطع عقله استيعاب الأمر أبدًا ، فعاد يتطلَّع إلى (هيثم) الفاقد الوعى ، وإلى جثة المسكين ، و ....

وفجأة سمع دوى انفجار فى الخارج ..

ثم ثان ..

وثالث ..

ثم أصوات قتال عنيف ، يدور أمام المبنى ، حيث الجنود ..

ومن منطلق واجبه ، اندفع إلى الخارج ، وهو يستل مسدسه ، حتى بلغ المدخل ، و ...

وتوقَّف دفعة واحدة ..

فأمامه مباشرة ، كان هناك جيش صغير من المتمردين ، نجح فى القضاء على الجنود ، ونسف سيارتهم وسيارة (هيثم) ..

ولقد صوَّب الجميع أسلحتهم إليه ..

مباشرة ..

وبكل التحفُّز ..

والشراسة والعزم ..

* * *

على نحو ملحوظ ، راح جسد الدكتور (راشد) يرتجف ، وهو يشاهد (نور) وفريقه ، على الشاشة الهولوجرامية الكبيرة ، فى حجرة القائد الأعلى ، الذى لاذ بالصمت التام ، وتراجع ، مشبكًا أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يراقب وجه الدكتور (راشد) ، بأكثر مما يراقب الشاشة ، حتى انتهى المشهد ، فغمغم الدكتور (راشد) فى توتر :

ـ لم أفهم شيئًا .

سأله القائد الأعلى فى بطء :

ـ أتعنى اللغة ؟!

أجابه بنفس التوتر :

ـ بل الموقف كله .

ثم التفت بجسده كله إلى القائد الأعلى ، متابعًا :

ـ لماذا نراقبهم ؟!

أجابه القائد الأعلى فى برود :

ـ إجراءات أمنية .

تساءل فى عصبية :

ـ ولكنهم فخر تاريخنا الأمنى ، و ...

قاطعه فى صرامة غاضبة :

ـ هذا لا يندرج تحت مقتضيات وظيفتك .

ارتبك رئيس مركز الأبحاث ، وهو يقول :

ـ معذرة .. لم أقصد أن ...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يتجاهل عبارته ، مكملاً :

ـ ثم إننى لم أستدعك لهذا السبب .

تضاعف ارتباك الرجل ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارتك .

أشار إلى الشاشة ، قائلاً :

ـ تلك اللغة ، التى يتحدثون بها .

قال الرجل فى سرعة :

ـ ليست لغة معروفة .

رمقه بنظرة شديدة الصرامة ، جعلته يستدرك فى خفوتٍ :

ـ وسنحاول التوصُّل إلى مفرداتها .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ استخدم أى عدد تريد ، من خبراء اللغات القديمة ، وخبيرين أو ثلاثة من خبراء الشفرة ، واستعن بأحدث كمبيوتر هنا ، وأحدث برنامج لفك الشفرة .. المهم أن أعرف ماذا يقولون .

ثم مال نحوه ، مضيفاً بمنتهى الصرامة :

ـ لا أريد أن يفوتنى حرف واحد .. هل تفهم ؟!

امتقع وجه الدكتور (راشد) ، وهو يجيب منكمشاً :

ـ أفهم .

ولكن الواقع أنه لم يفهم ..

لم يفهم قط ..

* * *

وفقاً لجيناته الوراثية ، كان أوَّل رد فعل لـ (طارق) هو أن يقاتل ..

أن يسحب مسدسه التردّدى ، ويتبادل القتال ، مع أولئك الذين يقفون أمامه .. ولكنه لسبب ما ، لم يفعل ..

بل إنه حتى لم يحاول ..

ومع الفوهات القاتلة ، المصوبة إليه ، والأصابع المتحفزة على الأزندة ، والنظرة الغاضبة المطلة من العيون ، توقع ضربة قاتلة فى أية لحظة ..

والعجيب أن سبَّابة واحدة لم تضغط زناد أى سلاح ..

وعلى الرغم من أنهم قد سحقوا كل جنود الدورية بلا رحمة ، ظلُّوا جميعاً صامتين ساكنين ، يصوبون إليه أسلحتهم ، كمن يترقَّب شيئاً ما ، أو كمن ينتظر أمراً ما ..

وفى هدوء ، وعبر صفوف المتمردين ، سار رجل متوسِّط القامة ، أشيب الفودين ، على الرغم مما توحى به ملامحه من صغر السن ، وتحرَّك حتى أصبح أمام الجميع ، فى مواجهة (طارق) مباشرة ، و ...

وابتسم ..

وانعقد حاجبا (طارق) فى دهشة ..

كان هذا آخر ما يتوقعه بالتأكيد ..

أن يبتسم عدوه ..

أو من يتصورُ أنه عدوه ..

وفى هدوء شديد ، قال :

ـ يا لها من مفاجأة !.. عندما رأيتك على شاشتى ، لم أصدِّق أن يقودك القدر إلينا ، فى أشد لحظات احتياجنا إليك .

خُيِّل لـ (طارق) أن الرجل يتحدث إلى شخص آخر ، فمال إلى الأمام ، متسائلاً فى حذر :

ـ أنا ؟!

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

ـ (طارق رمزى) .. ابن الدكتور (رمزى) ، أسطورة التحليل النفسى ، وحفيد العملاق (نور الدين) ، رمز الكفاح والنجاح والمقاومة .. أليس كذلك ؟!

تمتم فى خفوت حذر ، وهو لا يدرى إذا ما كانت إجابته ستعود عليه بنتيجة سلبية أم إيجابية :

ـ بلى .

تنهَّد الرجل فى ارتياح ، ثم استدار إلى رجاله ، قائلاً :

ـ اخفضوا أسلحتكم .

خفض الجميع أسلحتهم دون مناقشة ، فقال (طارق) بنفس الحذر ، وقد أدهشته تلك الطاعة العمياء :

ـ ألا تخشى أن أرفع أنا سلاحى ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال فى ثقة :

ـ لن تفعل .

لم يدر (طارق) سر هذه الثقة !!

ولم يدر حتى من هذا ؟!..

من الواضح أنه أحد كبار زعماء المقاومة ولا شك ..

طاعتهم العمياء له تؤكد هذا ..

وتؤكد مدى اقتناعهم به ..

وثقتهم فيه ..

وفى توتر ، صنعته كل هذه التساؤلات ، قال (طارق) :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟!

سأله الرجل ، بدلاً من أن يجيب سؤاله :

ـ أما زال زميلك فى الداخل ؟!

تحرَّك الرجال إثر سؤاله ، وكأنهم يهمون بتفتيش المكان ، فرفع (طارق) أحد ذراعيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد لقى مصرعه ..

كان يحاول حماية (هيثم) ، الذى حاول اغتياله منذ قليل ..

طبيعته الآدمية ، وما ورثه عن جده (نور) ، دفعه إلى تأدية واجبه ، أيًّا كانت الظروف أو الملابسات ..

وابتسم الرجل مرة أخرى ..

ابتسم ، على نحو يوحى بأنه قد فهم ..

وقبل ..

وبإشارة أخرى منه ، تراجع الرجال ، ولم يواصلوا طريقهم إلى المكان ، فى حين حافظ الرجل على ابتسامته ، وهو يقول :

ـ لا بأس .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، فبدا أشبه ما يكون بالزعيم ، وهو يستطرد :

ـ بعد أقل من نصف ساعة ، ستنقض خمس فرق أمنية على الأقل ، على هذه المنطقة ، التى التقطت أجهزتكم المتطوِّرة ضوضاء القتال فيها حتمًا ، لذا ، فالأفضل أن نتجه إلى مكان آخر .

ردد (طارق) ، فى حذر متوتر :

ـ مكان آخر .

توقَّفت خلف الصفوف سيارة قديمة ، أشار إليها الرجل ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ أنت تحمل سلاحًا ، وأنا لا ..

وفى حذر ، تردَّد (طارق) لحظة ، ثم لم يلبث ذهنه أن استعاد مشهد (هيثم) ، وهو يحاول قتله ، فاتجه نحو السيارة ، وتبعه الرجل ، وركب الاثنان فى أريكتها الخلفية ، والرجل يلتفت إليه مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ لم أعد أذكر اسمى الحقيقى ، الذى لم يخاطبنى به أحد ، منذ عقد من الزمان ، ولكن الرجال هنا يسموننى الذئب .

وانعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، والسيارة تنطلق بهما مبتعدة ..

فبعد سنوات من الصراع ، ها هو ذا يلتقى زعيم كل المتمردين .. شخصيًا ..

* * *

مع اقتراب الليل ، اختفى كل أفراد الفريق فى حجراتهم ، فيما عدا (نور) و(أكرم) .. وفى الحديقة ، وعلى الرغم من الظلام ، الذى ينتشر فى سرعة ، راح الاثنان يتجولان ، و(أكرم) يكتم مشاعره الخاصة بما يحدث فى أعماقه ، ويقول لـ (نور) ، باللغة العربية العادية :

ـ هذا العصر لا يروق لى يا (نور) .

قال (نور) فى هدوء :

ـ حاول أن تعتاده ؛ لأننا أصبحنا بالفعل جزءًا منه ..

قال فى حدة :

ـ ولماذا لا نعود إلى زمننا ، كما حدث من قبل ؟!

أجابه فى حسم :

ـ لأننا لم نعد ننتمى إليه .

توقَّف (أكرم) بحركة حادة ، هاتفًا فى استنكار :

ـ لم نعد ننتمى إليه ؟!

التفت إليه (نور) ، الذى توقَّف بدوره ، وقال :

ـ نعم إلى يا (أكرم) .. عندما كنا نعبر الزمن ، ثم نعود إلى عالمنا ، كنا نعود إلى زمن ننتمى إليه بالفعل ، ولو كنا فى زمن يخالف زمننا الفعلى ، فستتفكك جزيئاتنا مع الوقت ، وسرعان ما نفقد توازننا الحيوى ، وتنهار أجسادنا فى النهاية .

غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أومأ (نور) برأسه مجيبًا :

ـ للأسف .

بدا تأثُّر واضح ، فى عينى (أكرم) ، وهو يعاود السير ، مغمغمًا فى مرارة :

ـ هذا يعنى أننا قد علقنا فى هذا الزمن ، إلى الأبد .

قال (نور) ، وهو يعاود السير إلى جواره :

ـ إنه زمننا الآن .

قاوم (أكرم) دمعة حزينة فى عينيه ، وهو يقول ، فى صوت مختنق :

ـ وماذا عن (مشيرة) ؟!.. ألن تكتب لى رؤيتها مرة ثانية أبدًا ؟!

عض (نور) شفته فى مرارة ، وهو يقول :

ـ المفترض أنها ترعى (طارق) و(محمود) الصغيرين ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يلتفت إلى (أكرم) ، ويمسك يده فى قوة ، قائلاً فى انفعال :

- ولِمَ لا ؟!

التفت إليه (أكرم) فى دهشة ، هاتفًا :

- ماذا أصابك ؟!

تابع (نور) بنفس الانفعال ، وكأنه لم يسمعه ..

- ما مر بنا زمن ، يزيد قليلاً عن ثلاثة عقود من الزمن ، وهذا يعنى أن الصغيرين صارا فى الثلاثينات من عمرهما فحسب ، ومن المحتمل جدًا أنهما مازالا على قيد الحياة ، وأننا نستطيع رؤيتهما مرة أخرى .

تألَّقت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

- وماذا عن (مشيرة) ؟!

قال (نور) فى حذر :

- ستكون قد تجاوزت الستينات ، و ...

قاطعه بمنتهى اللهفة :

- ولكن سيمكننى رؤيتها .. أليس كذلك ؟!

أجابه (نور) بنفس الحذر :

- لو أنها ما زالت على قيد الحياة .

أمسك (أكرم) كتفيه ، فى انفعال شديد ، وهو يهتف فى فرحة غامرة :

- إنها كذلك .. مازلت أشعر بنبض قلبها فى قلبى .. إنها كذلك يا (نور) .

تمتم (نور) :

- بإذن الله .

ترك (أكرم) كتفيه ، وراح يتحرك فى الحديقة ، فى انفعال عصبى ، وهو يهتف ، بصوت يقطر أملاً ولهفة :

- سأطلب رؤيتها .. سأفعل أى شىء فى الوجود ، لأظفر بنظرة واحدة إليها .

غمغم (نور) ، محاولاً تخفيف انفعاله :

- لن تكون كما اعتدت رؤيتها .

هزَّ رأسه فى قوة ، وهو يبتسم فى حنان ، قائلاً :

- أنت لا تعرف (مشيرة) .. إنها لا تتغيَّر أبدًا .

حاول (نور) أن يجذب انتباهه بعيدًا ، وهو يسأله :

- قل لى يا (أكرم) : ماذا تعتقد أنه يوجد ، خلف تلك الأسوار ؟!

أجابه فى سرعة :

- (مشيرة) ..

وبمنتهى الدهشة ، تطلَّع إليه (نور) ..

ولم يستطع فهمه هذه المرة ..

لم يستطع بحق ..

* * *

فى حجرتها ، جلست (نشوى) صامتة ، أمام ذلك القرص الكمبيوترى ، الذى شاع استخدامه فى المكان ..

لم يكن يشبه ، على أى نحو كان ، تلك الأجهزة ، التى عرفتها فى زمنها ..

كان مجردَّ قرص صغير ..

قرص أشبه بعملة معدنية كبيرة ..

ولقد وضَعت ذلك القرص أمامها ، ومرَّرت سبَّابتها فوقه ، فانبعثت منه مجموعة من خيوط الليزر ، لترسم صورًا هولوجرامية فى الهواء ، لملفات الكمبيوتر الرئيسة ..

وفى نعومة ، كانت أصابعها تحرِّك أى ملف من مكانه ، أو تفتحه ، أو تنقل البيانات من ملف إلى آخر ، دون أن تشعر حتى بلمساتها ، التى تحرِّك صورة هولوجرامية فى الهواء ..

حاولت أن تدرس كيف يحدث هذا ..

كيف يشعر ذلك القرص بلمساتها ، ويحولها لصور هولوجرامية سابحة ؟!..

كيف يفهم أوامرها ؟!..

وكيف ينفذها ؟!..

كيف ؟!..

حاولت استرجاع كل معلوماتها ، عن الصور الهولوجرامية ، وتكنولوجيا المنمنمات ، وعلوم الكمبيوتر والاتصالات ..

حاولت استرجاع كل معلوماتها ..

حاولت ..

وحاولت ..

وحاولت ..

ولكن الأمر كان يفوق أقصى ما استوعبته ، فى حياتها كلها ، حتى إنها شعرت باليأس والإحباط ، وأدركت أنها حتمًا ستفقد مهاراتها السابقة كلها ، لو بقيت فى هذا العصر ..

استلقت على فراشها فى مرارة ، وهى تتأمل تلك الصور الهولوجرامية ، السابحة فى سماء حجرتها ، وعقلها ما زال يعمل ، كما لو أنه محرِّك جبار ، لسفينة فضاء قديمة من تسعينات القرن العشرين ..

كانت صور مدهشة ، شديدة الدقة والأناقة ، وثلاثية الأبعاد ، على نحو لم تبلغه تكنولوجيا عصرها ..

ولكنها تتبع حتمًا المبدأ نفسه ..

مبدأ انقسام خيوط أشعة الليزر ، و ...

فجأة ، تألّقت عيناها على نحو عجيب ..

نعم .. هنا تكمن اللعبة كلها ..

المبادئ الأساسية ..

كل الأجهزة ، مهما تطوّرت ، تتبع المبادئ والقواعد الأساسية نفسها ..

اعتدلت بحركة حادة ، عندما بلغ تفكيرها هذه النقطة ، وارتفعت أصابعها تفتح أحد تلك الملفات الهولوجرامية ..

الآن فقط ، تستطيع أن تبدأ دورها فى الخطة ..

خطة فريق (نور) لقهر المستقبل ..

مستقبل الأرض ..

ومستقبلهم .

* * *

5ـ أســـــوار ..

لم يستطع (طارق) كتمان دهشته العارمة ، عندما دخل إلى تلك القاعة ، أسفل بناية قديمة نصف متهدِّمة ..

لقد بدا له وكأنه قد انتقل ، مع عبوره بابها ، من الوضع المتردّى فى الخارج ، إلى أحد الأقسام الجديدة فى إدارته ..

قسم يحوى معدات ومبتكرات ، لم تعد متاحة للعامة ، منذ أكثر من عشر سنوات ..

ثم إن القاعة كانت مضاءة ، بذلك السقف الأبيض ، الذى تم اختراعه ، بعد فترة الكارثة مباشرة ، والذى اعتمد على تركيبة كيميائية غير مستقرة ، تجعل مادته فى حالة تفاعل مستمر ، ينتج عنه ضوء قوى ، دون الحاجة إلى طاقة خارجية ..

ولكن معظم الأجهزة فى القاعة كانت تدور بالفعل ..

وهذا يعنى وجود مصدر دائم للطاقة ..

مصدر خارجى ..

ومستمر ..

وبكل دهشته ، سأل الذئب :

ـ كيف أنشأتم هذا المكان ؟!

ابتسم ، وهو يجيبه ، فى هدوء رصين :

ـ إنه هنا طوال الوقت .

لم يكن جوابًا شافيًا ، ولكنه يوحى بأن صاحبه لا ينوى كشف الأمور ..

على الأقل ، ليس فى هذه المرحلة ..

ولقد استطرد ، فور عبارته الأولى ، وهو يشير إلى جزء من الجدار :

ـ تفضّل .

اتجه (طارق) نحو هذا الجزء ، وهو يسأل :

ـ وماذا عن الطاقة ؟!.. من أين تحصلون عليها ؟!

مع آخر سؤاله ، برز مقعد هلامى من الجدار ، فاستقر فوقه ، وشعر به يتكيَّف على نحو هادئ أسفله ، ليتخذ أفضل وضع يناسب جسده ، ولكن هذا لم يثر به أدنى اهتمام ، وكأنما اعتاد هذا ، فى حين برز مقعد مماثل استقر عليه الذئب ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن طبيعتك الأمنية تغلب على تفكيرك ..

أنت تلقى الأسئلة طوال الوقت .

قال (طارق) :

ـ ولا أحصل على الأجوبة .

هز الذئب كتفيه ، قائلا :

ـ ربما لأنها غير متاحة .

حاول (طارق) أن يلقى سؤالاً آخر ، ولكن الذئب مال نحوه ، قائلاً :

ـ هل لاحظت أننى أكشف أمامك أدق أسرارنا ، دون تردُّد أو خوف ؟!

غمغم (طارق) فى حذر :

ـ وهذا يدهشنى .

تراجع الرجل ، وتغيرت طبيعة ابتسامته ، وهو يقول :

ـ وهل يقلقك ؟!

فهم (طارق) ما يعنيه الذئب ، فأجاب فى حذر أكثر :

ـ قليلاً .

تألَّقت عينا الذئب ، وتراجع فى مقعده الهلامى ، وهو يقول :

ـ يراودك خاطر أننا سنتخلَّص منك فى النهاية ؛ ولهذا لا نجد فارقًا ، أو ضررًا ، من إطلاعك على أخطر أسرارنا .

غمغم فى قلق :

ـ ربمـا .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وتألّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ خطأ .

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بالقول ، إلا أنه لم يلبث أن استدرك :

ـ الواقع أنك أكبر رهان فى حياتى .

ردَّد (طارق) ، بكل الدهشة ، والحذر :

ـ رهـان ؟!

أشار الذئب بيده فى رصانة ، وقال :

ـ نعم .. لقد راهنت على أن ابن الدكتـور (رمزى) ، وحفيد القائد (نور) ، لن يخون من ائتمنوه أبدًا .

قال (طارق) فى توتر :

ـ ولكننى رجل أمن .

هزَّ الذئب رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ أنت خبير أشعة .

قال (طارق) فى حزم :

ـ ورجل أمن أيضًا .

عاد الذئب يميل نحوه ، قائلاً :

ـ لحساب من ؟!

أجابه بمنتهى الحذر ، وقد بدا له السؤال مخادعًا ، على نحو لم يستوعبه :

ـ حساب الدولة .

هزَّ الذئب رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

ـ خطأ .. أنت تعمل لحساب النظام .

تساءل (طارق) فى دهشة :

ـ وما الفارق ؟!

أشار الذئب بيده ، قائلاً :

ـ النظم تأتى وتذهب ، وتعلو وتهبط ، أما الدول ، فهى ثابتة ، راسخة ، لا تذهب ، إلا لو ذهب شعبها كله .

قال (طارق) فى حزم :

ـ الجميع يعمل لحساب الأنظمة ، وليس لحساب الدولة مباشرة .

قال الذئب فى صرامة :

ـ حتى ولو كانت نظمًا ديكتاتورية فاسدة .

قال (طارق) فى تحد :

ـ هذا أمر قد نختلف فيه .

ثم هبَّ من مقعده ، مستطردًا فى حدة :

ـ وعليك أن تخبرنى فورًا ، لماذا أحضرتنى إلى هنا ؟!

أجابه على الفور ؛ وكأنه كان ينتظر السؤال :

ـ لأن مكانك هنا .

ثم مال نحوه ، مجيبًا نظرة التساؤل الحذرة ، التى أطلَّت من عينيه :

ـ فى المقاومة .

واتسعت عينا (طارق) عن آخرهما ..

وتفجرت قنبلة فى رأسه ..

قنبلة مدوية ..

فى عنف ..

* * *

اعتدل القائد الأعلى فى اهتمام ، إثر سماعة صوت (هيثم) ، عبر جهاز اتصال خاص ، وهو يقول :

ـ من عُقاب واحد إلى القيادة .. هل تسمعنى ؟!

ضغط القائد الأعلى زرًا إلى جواره ، ليرفع قوة الصوت ، وهو يقول :

ـ من القيادة إلى عُقاب واحد .. لماذا لا يأتى صوتك واضحًا ؟!.. هل أصيبت سيارة الدورية بتلف ما ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ سيارتنا الدورية تم تدميرها ، وكل الفريق لقى مصرعه ، فى هجوم مباغت من المتمردين .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ و(طارق) أيضًا ؟!

أجابه ، وعصبيته تتزايد :

ـ لقد فرَّ .

هتف فى حنق :

ـ منهم ؟!

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (هيثم) فى عصبية انفعالية :

ـ بل منى . ؟!

احتقن وجه القائد الأعلى فى غضب ، وهو يسأله :

ـ وكيف هذا أيها الأحمق ؟!

أجابه فى توتر بالغ ، محاولاً تبرئة نفسه :

ـ لقد بدأ المتمردون هجومهم ، فى اللحظة التى صوبت فيها مسدسى إليه ، و ...

قاطعه فى حدة :

ـ لا تحاول التبرير .

صمت (هيثم) لحظات ، ثم قال فى انكسار :

ـ أريد وسيلة للعودة .

قال القائد الأعلى فى غضب :

ـ أنت لا تستحق العودة .

صمت (هيثم) فى رعب ، متصورًا أن القائد سيتركه هناك ، وسط المتمردين والأطلال ، ولكن هذا الأخير أضاف فى غضب :

ـ سأرسل من يعيدك .

أنهى الاتصال فى حنق ، وعاد يطالع شاشته الهولوجرامية ، التى انقسمت إلى أربع شاشات ، نقلت إحداها صورة (نور) و(أكرم) ، وهما يسيران فى أحد ممرات المكان ، وفى الثانية صورة سلوى ، وهى تستمع إلى موسيقى هادئة ، وتقلّب مؤشرات مشغل الموسيقى الصغير طوال الوقت ، وكأنها لا تستطيع الاستقرار على معزوفة بعينها ، والثالثة تنقل مشهد (رمزى) ، وهو يراجع بعض البيانات ، عبر شبكة المعلومات الفائقة ، على الكمبيوتر الهولوجرافى ، فى حين بدت (نشوى) ، على الشاشة الرابعة ، وهى تعمل على كمبيوتر مماثل فى حجرتها ، وكأنها تستعرض برامجه الحديثة ، نسبة إلى ما تركته خلفها ، منذ ما يزيد عن ثلاثين عامًا ..

وفى توتر ، غمغم القائد الأعلى :

ـ يبدون جميعًا أبرياء ، فى كل ما يفعلونه ، ولكنهم يخفون شيئًا ما حتمًا .

تراجع فى مقعده مفكرًا ، وهو يغمغم :

ـ إنهم ينفذون خطة ما حتمًا .. خطة لست أدرى ما هيتها .

غرق فى تفكيره طويلاً ، وعاد يطالع الشاشات ، محاولاً فهم ما يفعلونه ..

ولكنه ، وعلى الرغم من ذكائه الشديد ، لم ينجح فى هذا .

الخطة حتمًا شديدة التعقيد ..

وشديدة الذكاء ..

ولكن كيف تبادلوا تفاصيلها ؟!..

ما سر لغتهم ، التى يعجز فريق من الخبراء عن كشف مفرداتها ؟!..

كيف ابتكروها ؟!..

كيف ؟!..

لم يكد يبلغ هذا الحد من أفكاره ، حتى فاجأه ذلك الصوت الأنثوى الهامس ، قائلاً :

ـ الرائد (طارق) يطلب الإذن بالدخول .

كاد يقفز من مقعده ، من فرط المفاجأة وهو يهتف :

ـ من ؟!

كرَّر الصوت الهامس العبارة ، فاتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـ (طارق) ؟!.. هل عاد ؟!

تصوَّر كمبيوتر الأمن أنه لم يسمع الاسم جيدًا ، فكرَّر العبارة مرة ثالثة ، مما جعله يقول فى حدة :

ـ لقد سمعت .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يحاول فهم هذا الموقف ..

كيف عاد ؟!..

هل نجح فى الفرار من المتمردين ؟!..

هل أدرك أن (هيثم) قد حاول قتله ؟!..

وهل سيبلغ الأمر رسميًا ؟!..

كعادته ، وجد أن الوسيلة الوحيدة ، لإجابة كل هذه الأسئلة ، هى أن يلتقى به ، فضغط زر تشغيل نظم الأمن والحماية الداخلية ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ سأستقبله .

مرَّت لحظة ، قبل أن يتموَّج الجدار ، ويدخل (طارق) ، فى حالة جيدة ، لا تشف عن خوضه أى قتال من أى نوع ، لذا فقد انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كيف تم تدمير الدورية كلها ، ولم تصب أنت بخدش واحد ؟!

ارتفع حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

ـ كيف بلغتكم أخبار تدمير الدورية ؟!

كان السؤال مباغتًا ، لم يتوقعه القائد الأعلى ، الذى لم يشأ إخبار (طارق) أن (هيثم) قد أبلغه ، فقال فى صرامة ، أخفى بها توتره :

ـ لا نحتاج إلى من يبلغنا .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وقال فى حدة :

ـ ثم إنك لم تجب سؤالى .

شد (طارق) قامته ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى وقعت أسيرًا للمتمردين يا سيِّدى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أسيرًا لهم ؟!

واتجه نحوه ، حتى كاد يلتصق به ، وهو يسأله فى صرامة شديدة :

ـ وكيف هربت منهم ؟!

أجاب (طارق) على الفور :

ـ لم أفعل .

حدَّق فيه القائد الأعلى فى توتر مندهش ، فأكمل :

ـ لقد أطلقوا سراحى .

هتف مستنكرًا :

ـ أطلقوا سراحك ؟!..

قال (طارق) ، فى لهجة عسكرية متماسكة :

ـ هذا ما حدث يا سيِّدى .

سأله فى حدة :

ـ يدمرون الدورية كلها ، ويقتلون جنودنا بلا رحمة ، ثم يطلقون سراحك فى بساطة ؟!.. أى منطق هذا ؟!

قال (طارق) بنفس اللهجة :

ـ لقد تركوا الرائد (هيثم) أيضًا .

انفرجت شفتا القائد الأعلى ليقول شيئًا ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه فى سرعة ، قبل أن يفر منه حرف واحد ..

إنه على حق ..

لقد تركوا (هيثم) أيضًا ..

قتلوا كل الجنود ، وتركوا الضابطين ..

وهذا أمر لم يحدث من قبل قط ..

أمر غير مفهوم ..

على الإطلاق ..

منذ بدأت حالة التمرُّد المسلح ، وهم يفتكون بكل دورية مدنية يظفرون بها ..

ولم يتروا قط أحدًا منها على قيد الحياة ..

وكل الوسائل التكنولوجية المتطوّرة ، فشلت فى منع هذا ..

ولكنهم فجأة ، ولأوّل مرة ، يتركون ضابطين على قيد الحياة ..

ويطلقون سراح أحدهما أيضًا ..

أو ربما الاثنين ..

وبكل توتره وتساؤلاته ، سأل (طارق) :

ـ لماذا أسروك إذن ؟!

أجابه على الفور :

ـ أرادونى أن أنقل رسالة إلى هنا .

سأله فى توتر شديد :

ـ أى رسالة ؟!

أجاب (طارق) فى سرعة :

ـ إنهم يعلمون .

ضاقت عينا القائد الأعلى ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ يعلمون ؟!

قال (طارق) ، بنفس اللهجة العسكرية الهادئة :

ـ يعلمون أن فريق (نور) قد عاد .. حيًّا .

انتفض جسد القائد الأعلى فى عنف ، عندما سمع العبارة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجه (طارق) ، الذى ظلّ هادئًا متماسكًا ، خلال الدقيقة ، التى استغرقها ذلك الصمت الشديد ، الذى خيَّم على المكان ، قبل أن يقول القائد الأعلى ، فى صوت مبحوح :

ـ كيف عرفوا أمرًا كهذا ؟!

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ لست أدرى .

ولم يرق هدوءه هذا للقائد الأعلى ..

لم يرق له قط ..

وفى توتر بالغ ، ظلَّ يتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، محاولاً أن يستشف منهما شيئًا ..

وتفجَّر السؤال المخيف فى أعماقه ..

لقد حرص على إخفاء أمر عودة الفريق تمامًا ..

فكيف عرفوا ؟!..

كيف ؟!

لا يوجد سوى تفسير واحد ..

لديهم عميل هنا ..

عميل سرى ..

خائن ..

وبكل توتره وانفعاله ، قال للرائد (طارق) :

- اذهب إلى قسم التحقيقات .. سأطلب منهم استجوابك رسميًا .

أدَّى (طارق) التحية العسكرية ، ودار على عقبيه مغادرًا الحجرة ، وتموَّج الجدار خلفه مرة أخرى ، ثم عاد يتكوَّن ، ليصبح القائد الأعلى وحيدًا فى حجرته ، يطرح على نفسه ذلك السؤال المخيف ..

كيف عرفوا أمرًا شديد الخطورة كهذا ؟!..

كيف ؟!..

* * *

فى صمت ، وقف (أكرم) إلى جوار (نور) ، فى حديقة المكان ، وهذا الأخير يتطلَّع طويلاً إلى تلك الأسوار العالية ، حتى لم يطق (أكرم) صبرًا ، وقال ، بتلك اللغة الخاصة :

- هل سنبقى هنا طويلاً ؟!

لم يجب (نور) سؤاله ، وإنما سأله فى اهتمام :

- لماذا تظنهم أحاطوا المكان بأسوار ضخمة كهذه ؟!

أجابه (أكرم) فى دهشة ، وقد بدا له الجواب منطقيًا وبديهيًا تمامًا :

- للحماية !

قال (نور) مفكرًا :

- فى زمننا ، كنا نوفِّر حماية كاملة لمبنى المخابرات العلمية ، ومركز الأبحاث الملحق به ، والمفترض أن العلوم ووسائل الأمن تتطوَّر ، مع مرور الزمن ، فكيف بعد ثلاثين عامًا وأكثر ، يعود الأمن إلى نظم الحماية القديمة ، ويحيط الأماكن الهامة بأسوار عالية .

حطّمت كلمات (نور) إحساسه بمنطقية وبديهية الإجابة ، فغمغم فى حيرة :

ـ لماذا أقاموها إذن ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ هذا هو السؤال .

ثم صمت بضع لحظات ، ليضيف فى عمق :

ـ ربما للعزل .

ردّد (أكرم) فى حذر :

ـ عزل ؟!

قال (نور) ، مواصلاً استخدام لغتهم الخاصة :

ـ نعم .. عزل من خارج المكان عمن بداخله ... أو العكس .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

التفت إليه (نور) فى بطء ، مجيبًا :

ـ هذا ما نحاول معرفته .

انعقد حاجبا (أكرم) فى توتر شديد ، وهو يحاول استيعاب كل ما يحيط به .. ما زال يبغض هذا الزمن ...

يبغض تطوّره ..

وغموضه ..

وأسواره ..

ولكن أكثر ما يبغضه ، على كل المستويات ، هو أنهم لم يعطوه مسدسًا ..

دونه ، يشعر وكأنه عارٍ ..

ضعيف ..

أسير ..

و(مشيرة) ..

كم يشتاق إليها !

كم يتوق لرؤيتها ، ولو لحظة واحدة ..

لحظة يبثها فيها كل حبه ..

وعشقه ..

ولوعته ..

يا إلهى !.. كم يفتقدها !..

« و(مشيرة) يا (نور) !.. »

ألقى الكلمة باللغة العربية العادية ، فالتفت إليه (نور) ، وأجابه بالعربية أيضًا :

ـ سأطلب منهم البحث عنها ، وعن (محمود) و(طارق) الصغيرين أيضًا .

غمغم (أكرم) :

ـ لم يعودا صغيرين .

ابتسم (نور) فى حنان ، قائلاً :

ـ وكذلك (مشيرة) .

قال (أكرم) ، فى سرعة وحزم :

ـ لن يصنع هذا فارقًا .

ابتسم (نور) ، وهو يربِّت على كتفه ، قائلاً :

ـ يا لها من محظوظة !

التمعت دمعة فى عينى (أكرم) ، وهو يتمتم فى تأثر :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر كم أحتاج إليها يا (نور) !! لقد فقدنا

ثلاثة عقود من الزمن ، ولكنك هنا مع زوجتك ، وكذلك (رمزى) .. أما أنا ، فقد أصبحت وحيدًا دونها .

قال (نور) فى تردُّد :

ـ أنت ما زالت شابًّا ، ويمكنك أن ...

قاطعه فى حدة :

ـ كلاً .

وعادت عيناه تلتمعان ، وهو يضيف ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ إما هى أولا .

لم يتخيَّل (نور) قط أن يشعر بكل هذا التأثُّر ، فى محادثة مع (أكرم) ، الذى بدا شديد الرومانسية والحنان فى تلك اللحظة ، فعاد يربِّت عليه ، محاولاً إخراجه من تأثره ، وهو يغمغم :

ـ ألم أقل لك : إنها محظوظة ؟!

التفت إليه (أكرم) يسأله :

ـ أتظنها ما زالت على قيد الحياة يا (نور) ؟!

تردَّد (نور) فى الجواب لحظة ، ولم يكد يهم بإلقائه ، حتى وصل باقى أفراد الفريق ، وقال (رمزى) ، مستخدمًا لغتهم الخاصة :

ـ شبكة المعلومات الفائقة ، التى تم تطويرها فى هذا العصر ، عن شبكة الإنترنت القديمة ، تعمل بكفاءة يا (نور) .. لقد بحثت عن مراجع نفسية فى كل أنحاء العالم تقريبًا ، وتأكدت أن الشبكة متصلة ، مما يؤكد أن العالم كله ما زال حيًا ، ويواصل تطوره .

التفت (نور) إلى (سلوى) فى صمت ، فقالت باللغة نفسها :

ـ النظم الصوتية فى هذا العصر ، تختلف تمامًا عن كل ما درسناه وعهدناه يا (نور) ، ولكننى اقتربت من فهمها ، وحصلت على بعض المعلومات الأساسية ، عبر الشبكة الفائقة ، وفى خلال يومين ، ومع جهد شاق ، أعتقد أننى سأستطيع التعامل ، مع تلك النظم الجديدة ..

بدا شىء من الارتياح على وجه (نور) ، وهو يستدير إلى (نشوى) ، التى لم تنطق حرفًا واحدًا ، وإنما أشارت بإبهامها ، مع ابتسامة ظافرة ، فأغلق (نور) عينيه بكل الارتياح ، وقال بلغتهم الخاصة :

ـ على بركة الله إذن .. (سلوى) تحكم البداية .

وكان هذا يعنى أن خطتهم السرية قد اقترب موعد تنفيذها ...

وأصبحت ساعة الصفر متوقفة على ما تتوصل إليه (سلوى) .. فقط ..

* * *

« لقد أخطأت .. »

قالها القائد الأعلى فى غضب ، وهو يواجه الرائد (هيثم) ، الذى حاول أن يشد قامته ، وهو يجيب متوترًا :

ـ لقد باغتنى ، و ...

قاطعه فى حدة :

ـ كان المفترض أن تباغته أنت .

خفض (هيثم) عينيه فى انكسار ، فلوح القائد الأعلى بذراعه فى وجهه بحنق ، ثم عاد إلى ما خلف مكتبه ، قائلًا فى حنق :

ـ المشكلة الرئيسة أنك حاولت قتله مباشرة ، وأنه قد أدرك هذا ، وقاتل فى شراسة ، وعلى الرغم من كل ما حدث ، فهو لم يشر إليه رسميًا قط ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

تمتم (هيثم) فى حذر :

ـ ربما يخطط للثأر .

هز القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ملفه النفسى يشير إلى أنه ليس من هذا الطراز .

ثم ضاقت عيناه ، وهو يتابع ، وكأنه يحدث نفسه :

ـ هناك شىء ما لا نفهمه .. شىء يخفيه (طارق) ، لسبب ما !

قال (هيثم) ، فى حذر أكثر :

ـ يمكننا استجوابه ، بنظم كشف الكذب الحديثة ، و...

قاطعه فى حدة :

ـ هذا ما نفعله الآن .

وضاقت عيناه أكثر ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ ولكن لدينا سلاح أكثر خطورة ، لم ننتبه إليه من قبل ..

سأله فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

أجابه بلهجة عجيبة :

ـ (مشيرة) .

ولقد بدا الجواب للرائد (هيثم) غامضًا ..

تمامًا .

* * *

6ـ مشيرة ..

بذل (طارق) جهدًا حقيقيًا ، ليبدو هادئًا متماسكًا ، وهو يجلس فى منتصف حجرة الاستجواب ، وتلك الخيوط الرفيعة من الأشعة تجوب جسده كله طوال الوقت ؛ لتنقل أدق انفعالاته ، وأدنى تغيُّر فى معدلاته الحيوية ..

وعبر أجهزة صوتية خاصة ، انبعث صوت صارم ، يقول :

ـ تعانى من توتر شديد .

غمغم (طارق) :

ـ أظنه انفعالاً طبيعيًا .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يعود الصوت الصارم ليقول :

ـ كيف أسرك المتمردون ؟!

أجاب (طارق) ، دون لحظة واحدة من التوتر :

ـ لقد حاصروا المكان .

سأله :

ـ ولماذا لم يحاولوا أسر الرائد (هيثم) أيضًا ؟

قال فى حسم :

- كان فاقد الوعى ، وأقنعتهم بأنه قد لقى مصرعه .

بدا الصوت عدوانيًا ، وهو يسأل :

- وهل صدقوك ؟!

أجاب ، دون أن يطرف له جفن :

- لست أدرى لماذا ؟ ولكنهم فعلوا .

سأل فى اهتمام :

- وهل صحبوك إلى وكرهم ؟!

أجاب بنفس الثقة :

- أعتقد هذا ؟!

قال الصوت ، فى صرامة شديدة :

- تعتقد أم تعرف ؟!

أجاب فى هدوء عجيب :

- لقد صحبونى إلى مكان يخصهم ، ولست أدرى إذا ما كان وكرهم أم لا .

سأله :

- وهل تعرف مكانه ؟!

أجاب :

- كلاً .

مرَّت لحظة من الصمت ، كان الواضح أن فريق الاستجواب يراجع إجاباته خلالها ، قبل أن يقول الصوت مرة أخرى :

- فسِّر هذا .

أجاب (طارق) ، وقد بدأ يتململ فى مجلسه :

- السيارة التى حملتنا إلى هناك قديمة الطراز ، ذات نوافذ داكنة ، فلم يمكننى معرفة أو تحديد مسارنا .

سأله :

- وماذا عن جهاز تحديد الموقع فى ساعتك ؟!

أجاب فى ضيق :

- توقَّف آنذاك عن العمل .

بدا الصوت شديد الصرامة والغضب ، وهو يسأل :

- وكيف ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى .. ربما استخدموا جهاز شوشرة .

مرّت لحظات طويلة من الصمت ، قبل أن يسأله الصوت ، فى صرامة لا حدود لها :

ـ هل انتقل ولاؤك إلى المتمردين ؟!

ولم يجب (طارق) بسرعة هذه المرة ..

فقد كان هذا هو السؤال ، الذى ينتظره منذ البداية ..

السؤال الذى سيحسم موقفه ..

تمامًا ..

* * *

فى اجتماعهم التالى ، فى تلك الليلة ، ران على زعماء المقاومة صمت تام ، شملهم جميعًا بلا استثناء ، حتى صاروا وكأنهم جزء من باقى الجوامد ، فى وكرهم السرى الخاص .. كانوا يتطلّعون إلى بعضهم البعض ، فى توتر ملحوظ ، دون أن يجرؤ أحدهم على فتح باب الحوار ، حتى حطم الذئب جدار الصمت ذلك بصوته الرصين ، وهو يقول :

ـ هاتوا ما لديكم .

بدا وكأن قوله قد حررَهم من صمتهم ، وأطلق ألسنتهم ، إذ راحوا كلهم يتحدثون فى آن واحد ، حتى هتف بهم :

ـ النظام أيها السادة .. النظام .

عادوا إلى صمتهم دفعة واحدة ، فيما عدا الليث ، الذى قال فى عصبية :

ـ معذرة أيها الذئب ، ولكننى أرى أن ما حدث خطأ فادح .

رفع الذئب عينيه إليه بنظرة متسائلة ، فتابع :

ـ لم يكن ينبغى أن نطلق سراح رجل الأمن ، بعد أن أطلعناه على أهم أسرارنا .

سأله الذئب ، دون أن يفقد هدوءه :

ـ مثل ماذا ؟!

هتف الفهد :

ـ مركز العمليات .

شاركه التمساح غضبه ، مضيفًا :

ـ وشخصيتك .

تراجع الذئب فى مقعده ، وقال :

ـ هناك احتمالان لا ثالث لهما .. فإما أن يحافظ حفيد القائد (نور) على سرنا ، أو يكشفه لقادته، وفى رأيى أنه من العسير أن يقدم شاب مثله على خيانتنا .

زمجر الدب ، قائلاً :

ـ لمجرَّد أنه حفيد (نور الدين) ؟!

قال الذئب فى صرامة :

ـ التحليل النفسى ، الذى أجريناه له ، يؤكِّد وجهة نظرى .

قال التمساح فى غضب :

ـ لم أثق يومًا فى تلك الهلاميات .

التفت إليه الذئب فى حركة حادة ، وأراد أن ينفجر فى وجهه ، ويخبره أن التحليل النفسى قد صار جزءًا من الأساسيات ، منذ بدأ (رمزى) عمله ، فى مخابرات الطمية ، ولكن الليث أضاف فى حنق :

ـ ربما يفعلها ، على الرغم منه .

استدار إليه الذئب ، فأضاف فى سرعة :

ـ أنت تعلم كم تطوَّرت وسائل الاستجواب !

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ اطمئن بهذا الشأن .

صاح الدب :

ـ وماذا لو كشف ما علمه ؟!

قال فى حزم :

ـ وما الذى علمه ؟!.. لقد رأى غرفة عملياتنا ، وأدرك أنها شديدة التطوَّر ، وليس كما كانوا يتصوَّرون ، وهذا يفيدنا بأكثر مما يضرنا ؛ لأنه سيجعلهم يعيدون حساباتهم ، ويتوقفون لدراسة الموقف ، على ضوء المعلومات الجديدة ، مما يمنحنا فترة نحتاج إليها بشدة ، لتنفيذ خطتنا .

قال الليث :

ـ وماذا عن شخصيتك ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ ماذا عنها ؟.. لقد رأى وجها لشخص ، لم يكن شهيرًا على أية مستويات ، ويصعب العثور عليه ، وسط الملايين ، من سكان (القاهرة) الجديدة .. مجرَّد شخص .

ساد الصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم الدب :

ـ ما زالت أعتقد أنه سيكشف أمرنا ، إما بإرادته ، أو مضطرًا .

صمت الذئب لحظة ، ثم واجههم ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟!

نعم ..

من يدرى ؟!..

* * *

أطلّت اللهفة واضحة ، من عينى (سلوى) ، وهى تتشبّث بـ (نور) ، قائلة :

ـ إذن فهما على قيد الحياة يا (نور) .. ابنى وحفيدى على قيد الحياة .

تردّد لحظة ، قبل أن يقول :

ـ أتعشّم أنهما كذلك .

تراجعت فى ارتياع ، قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها فى مرارة واضحة :

ـ الملايين قضوا نحبهم فى الكارثة ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم ، كم ألفًا لقوا مصرعهم بعدها ، وهناك احتمال أن ...

استوقفته ، وهى تشيح بوجهها ، غير راغبة فى سماع المزيد :

ـ كفى .

شعر بدموعها ، من قبل حتى أن يراها ، فأمسك كتفها ، وأدارها إليه فى رفق ، ثم احتواها بين ذراعيه فى حنان ، وهو يقول :

ـ سيكونان على قيد الحياة بإذن الله .

هتفت ، ودموعها تغرق صدره :

ـ كم أتمنى ذلك يا (نور) ! كم أتمناه !!

مسح شعرها بيده فى رفق ، وهمس فى أذنها فى حنان دافق :

ـ كلنا نتمناه .

اندفع (أكرم) نحوهما فى هذه اللحظة ، وارتبك عندما رآهما على هذا النحو ، وقال بكل ارتباكه :

ـ معذرة .. لم أقصد أن ...

تباعدا فى حرج ، وقال (نور) :

ـ لماذا تبدو متوترًا هكذا ؟!

مال (أكرم) نحوه ، وقال فى توتر شديد :

ـ لقد استدعانى إلى مكتبه .

بدت الحيرة على (سلوى) ، فى حين تساءل (نور) :

ـ من ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ القائد الأعلى .

ارتفع حاجبا (سلوى) بكل الدهشة ، وهى تهتف :

ـ شخصيًا .

أومأ برأسه إيجابًا فى انفعال ، فسأله (نور) فى قلق :

ـ ولماذا يستدعيك ؟!

أجاب فى توتر :

ـ لو أننى أعرف الجواب ، لما هرعت إليك يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) فى تفكير عميق ، فى حين تساءل (أكرم) ، بعصبيته المعهودة :

ـ هل أذهب ؟!

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، قبل أن يجيب فى بطء :

ـ ليس أمامك سوى هذا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان القائد الأعلى فى حجرته ، يبدو أكثر توترًا من (أكرم) وهو يقول للرائد (هيثم) :

ـ كل أجوبته صادقة .. لقد أنقذ حياتك ، على الرغم مما حاولت فعله به .. كل أجوبته صحيحة .

صمت (هيثم) مبهورًا ، وهو يحدّق فيه ، غير مصدّق لما سمعه ..

(طارق) أنقذ حياته !...

أنقذ حياة من حاول قتله ؟!..

أى شاب هذا ؟!..

كيف يفكّر ؟!..

ما المنطق الذى يسير وفقه ؟!..

قطع القائد الأعلى تساؤلاته ، وهو يقول فى حدة :

ـ ألم تسمعنى ؟!

انتفض جسده ، قبل أن يعتدل فى سرعة ، متسائلاً :

ـ ماذا يا سيدى ؟!

صاح به فى غضب :

ـ سألتك : هل توجد وسيلة ، لخداع تكنولوجيا الاستجواب الحديثة ؟!

لم يكن لدى (هيثم) جواب مباشر ، فغمغم :

على نحو عام .. كل تكنولوجيا لها تكنولوجيا مضادة .

لوّح القائد الأعلى بيده ، وكأنما يحنقه الجواب ، ثم قال فى حدة :

ـ تكنولوجيا مضادة ؟!.. لديهم ؟!

أجاب فى حذر :

ـ من يدرى ؟!

بدا التساؤل منطقيًا للغاية ، على الرغم من غضب القائد الأعلى ، فأشاح بوجهه ؛ ليخفى انفعاله الجارف ، وهو يفكر فيما قاله (هيثم) ..

نعم .. من يدرى ما الذى يمتلكه المتمردون بالضبط ؟!..

ربما لديهم بالفعل تكنولوجيا متطوِّرة .. تكنولوجيا مضادة ..

صحيح أن مصارد الطاقة الرئيسة فى المدينة متوقِّفة ، ولكن هناك وسائل عديدة لتوليد الطاقة ، فى هذا العصر ..

وسائل لا تصلح لتغذية المدن ، أو الكيانات الكبيرة ، ولكنها تكفى حتمًا لتغذية مكان محدود ..

معمل ..

أو مختبر ..

أو مركز ..

مركز قيادة ..

للمتمردين ..

مركز يمكنهم فيه تخزين وسائل تكنولوجية .. ووسائل مضادة ..

وهذا يجعل مواجهة المتمردين أمرًا أكثر صعوبة .. بكثير ..

« (أكرم) يطلب الإذن بالدخول .. »

أعلن ذلك الصوت الأنثوى الهادئ هذا ، فاعتدل القائد الأعلى بحركة حادة ، وقال بكل توتره ، مع قطع أفكاره :

ـ فليدخل ، عندما آمر بهذا .

ثم انتقل إلى تلك البقعة ، ليتحوَّل إلى هيئة (أيمن) الكهل ، قبل أن يقول :

ـ الآن .

غمغم (هيثم) فى قلق ، مع تموّج الجدار :

ـ هل أنصرِف ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ ابق .

شد (هيثم) قامته ، وهو يثبت فى مكانه ، فى وقفة عسكرية قوية ، فى حين دخل (أكرم) فى توتر ، وهو يقول :

ـ لن أعتاد تلك الأمور قط .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يقول فى صرامة :

ـ سرعان ما تعتادها .

همّ (أكرم) بقول شىء ما ، وملامحه كلها شديدة التوتر ، ولكن القائد الأعلى استوقفه ، قائلاً :

ـ هل ترغب فى رؤية زوجتك ؟!

حدّق (أكرم) فى وجهه ، فى دهشة بالغة ، وغمغم بكل عصبية الدنيا :

ـ كيف عرفت ؟!

أجابه فى صرامة شديدة :

ـ هل ترغب فى رؤيتها أم لا ؟!

تمتم ، وعصبيته تتزايد :

ـ بكل تأكيد .

استدار القائد الأعلى إلى (هثيم) ، وأشار إليه ، قائلاً :

ـ أحضرها .

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ، مع الكلمة ..

أهى هنا ؟!..

هل زوجته (مشيرة) هنا ؟!..

هل عثروا عليها ؟!..

هل يمكنه رؤيتها بالفعل ؟!

هـل ؟!..

قبل أن تقتله تساؤلاته ، عاد (هيثم) ، وهو يمسك ذراعها ..

وانتفض جسد (أكرم) مرة أخرى ..

لم ينتفض بعنف ، وإنما بمنتهى منتهى العنف .

وفى صدره ، خفق قلبه ، كما لم يخفق فى حياته كلها من قبل ..

إنها هى ..

زوجته وحبيبته (مشيرة) ...

هى نفسها ، بشحمها ولحمها ، ولكنها صارت أكبر سنًا ..

أكبر بثلاثين عامًا أو أكثر ..

لم تكن ملامحها قد تغيرت كثيرًا ، ولكن التجاعيد انتشرت فى وجهها وعنقها ، وذبلت عيناها بعض الشىء ..

ولكن هاتين العينين اتسعتا عن آخرهما ، عندما وقع بصرهما عليه ، وهتفت ، وكل ذرة فى جسدها ترتجف :

ـ (أكرم) ؟!

ارتفع حاجباه ، وهو يقول بكل حب الدنيا :

ـ هو أنا يا حبيبتى .

اندفع نحوها ، فتشبَّث (هيثم) بذراعها أكثر ، ولكن القائد الأعلى أشار إليه ، فأفلتها على الفور ، لتقع بين ذراعى (أكرم) ، الذى تطلَّعت إليه فى ذهول ، مغمغمة :

ـ ولكنهم قالوا : إنك .. إنك ..

قال فى حب جارف :

ـ لقد عدت يا حبيبتى .. عدت من أجلك .

قالت ، وهى تملأ عينيها بملامحه ، والدهشة لم تفارقها بعد :

ـ ولكنك لم تتغير قط .. ما زالت كما أذكرك ، فى آخر مرة .

أمسك يدها ، وطبع عليها قبلة ، وهو يقول :

ـ سأشرح لك كل شىء فيما بعد .

خفضت وجهها ؛ لتخفى عنه ملامحها العجوز ، وهى تقول فى أسى :

ـ ولكن أنا ..

أوقفها بسبَّابته على شفتيها ، ورفع وجهها إليه ، وهو يقول :

ـ أنت أجمل أهل الأرض فى عينىَّ .

قالها ، ومال يطبع قبلة محبة على جبينها ، فى حنان دافق ، جعل الدموع تتفجَّر من عينيها ، وهى تدفن وجهها فى صدره ، هاتفة :

ـ يا إلهى !.. كم أشتاق إليك !

ضمَّها (أكرم) إليه ، بكل حب الدنيا ، و...

« هذا يكفى .. »

قالها القائد الأعلى ، فى صرامة شديدة ، فاندفع (هيثم) نحو (مشيرة) ، وجذبها من ذراعها فى قسوة ، جعلتها تطلق صيحة ألم ، فقبض (أكرم) على يده فى قسوة غاضبة ، وهو يهتف به :

ـ كيف تجرؤ ؟

وفى سرعة البرق ، هوى على فك (هيثم) بلكمة ، أودعها كل قوته وغضبه ..

وعلى الرغم من قوة (هيثم) البدنية ، التى تبدو ظاهريًا ضعف قوة (أكرم) ، إلا أن لكمة هذا الأخير انتزعته من مكانه ، وألقت بـه مترين إلى الخلف ، ليسقط فى عنف شديد ، ثم يهبَّ واقفًا ، والغضب يكسو كل لمحة من وجهه ..

وفى حزم ، أزاح (أكرم) (مشيرة) ، لتحتمى خلفه ، وضمَّ قبضتيه متحفزًا ، وهم (هيثم) بالانقضاض عليه ، ولكن القائد الأعلى أشار إليه بالتوقُّف ، ثم أشار إلى (أكرم) بسبَّابته فى حزم ، فانطلقت من نقطة خفية ، فى سقف الحجرة ، دفقة من أشعة أرجوانية ، أصابت (أكرم) مباشرة ، فانتفض جسده بمنتهى العنف ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، وسقط أرضًا ، وجسده يواصل انتفاضاته ، فصرخت (مشيرة) ، وهى تندفع نحوه :

ـ (أكرم) .

صاح بها القائد الأعلى ، فى صرامة مخيفة :

ـ كلاً .

توقَّفت فى هلع ، والتفتت إليه فى خوف ، فعاد يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً بكل صرامة :

ـ سيستعيد وعيه خلال لحظات .

نقلت بصرها فى خوف ، بينه وبين زوجها ، ولكنه التفت إلى (هيثم) ، قائلاً :

ـ خذها .

سحبها (هيثم) ، على الرغم منها ، خارج الحجرة ، وهى تنظر إلى زوجها فى لوعة ، وعاد الجدار إلى موضعه بعد خروجهما ، فتطلَّع القائد الأعلى إلى (أكرم) ، الذى خفتت انتفاضاته ، واسترخى جسده أرضًا ، والعرق يغمره فى غزارة ، ثم عاد يجلس خلف مكتبه فى هدوء ، حتى اعتدل (اكرم) فجأة ، وهو يهتف :

ـ (مشيرة) .

أجابه فى صرامة :

ـ لقد رحلت .

عاد يضم قبضته ، هاتفًا :

ـ رحلت ؟!

أجابه القائد الأعلى ، فى صرامة أكثر :

ـ نعم رحلت ، ولن تعود .

اشتعلت عينا (أكرم) غضبًا ، وهبّ واقفًا على قدميه ، وضم قبضتيه فى تحفز ، جعل القائد الأعلى يضيف فى هدوء :

ـ إلا إذا ..

توترت كل خلجة من خلجات (أكرم) ، وهو يقول :

ـ إلا إذا ماذا ؟!

ابتسم القائد الأعلى ابتسامة هادئة ، وهو يشير إليه بالاقتراب ، قائلاً :

ـ تفضل بالجلوس ؛ فالحديث بيننا سيطول .. كثيرًا .

وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ..

وسرى فى جسده ألف ألف انفعال ..

على الأقل .

* * *

7ـ طـــارق ..

« سيتم إيقافك عن العمل مؤقتًا .. »

قالها رئيس (طارق) المباشر ، فانعقد حاجبا هذا الأخير فى ضيق ، وهو يقول :

ـ ولماذا ؟!.. أخبرونى أن الاستجواب الإلكترونى أثبت صحة أقوالى .

قال رئيسه فى صرامة :

ـ هناك بضع نقاط ، يحتاجون إلى التيقن منها ، وهذا يحتاج إلى بعض الوقت .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ وأنت تعرف القانون .

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

ثم انتزع شارته الإلكترونية ، ومسدسه الترددى ، ووضعهما أمام رئيسه ، قائلاً :

ـ والمفترض أن أسلم شارتى ومسدسى .. أليس كذلك ؟!

أومأ رئيسه برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ولكنك ستحتفظ بجهاز التتبُّع .

سأله فى حذر :

ـ ولماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ يريدون معرفة موقعك طوال الوقت .

قال (طارق) :

ـ من منطلق الشك ؟!

أجابه :

ـ بل الحماية .

التقط نفسًا عميقًا محنقًا ، وقال :

ـ فليكن .. ماذا سأفعل ؟!.. أو ماذا يفترض أن أفعل ، أثناء فترة الإيقاف ؟!.. هل سأخرج إلى المدينة ؟!

بدا رئيسه صارمًا ، وهو يقول :

ـ لا أحد يخرج من هنا إلى المدينة .

غمغم (طارق) :

ـ بخلاف الدوريات المدنية .

قال فى خشونة :

ـ هذا واجبهم .

ثم أشار إليه ، مكملاً :

ـ القائد الأعلى أمر بنقلك إلى قسم أبحاث الأشعة ، بصفة مدنية مؤقتة ، حتى ينتهى فريق الاستجواب من حسم أمرك .

صمت (طارق) لحظات ، ثم غمغم :

ـ لا بأس .. أحتاج إلى استعادة بعض مهاراتى فى هذا المجال .

تابع رئيسه ، وكأنه لم يسمعه :

ـ وستستخدم الكمبيوتر فى نطاق بحثى محدود فحسب .. لن يكون هناك أى امتداد داخلى ، عبر شبكة المعلومات الفائقة .

قال (طارق) فى ضيق :

ـ وكيف يمكننى إجراء أبحاث جادة ومجدية ، فى غياب شبكة المعلومات الفائقة .

أجابه بمنتهى الصرامة :

ـ إنها الأوامر .

لم يكن أمامه سوى الطاعة ، فأومأ برأسه ، واستدار لينصرف ، فاستوقفه رئيسه ، فى غضب شديد :

ـ لم تؤد التحية أيها الرائد .

أجابه ، دون أن يلتفت إليه :

ـ الموقوفون عن العمل ، غير مضطرين لتأدية التحية .

انعقد حاجبا رئيسه ، إلا أنه لم يعترض ، فى حين سار (طارق) فى سرعة ، عبر تلك الممرات ، التى طالما لم يشعر بها ، وهو منشغل فى مهمة قادمة ، أو فى تقرير مهمة انقضت ، وغادر القسم الأمنى إلى قسم الأبحاث ، وهو شارد بأفكاره ، فى مجالات عديدة ، حتى سمع (رمزى) يقول :

ـ (طارق) .. كم يسعدنى أن وجدتك !

انتزعته عبارة (رمزى) من أفكاره ، فالتفت إليه ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا دكتور (رمزى) .. ماذا تفعل هنا ؟!

أشار (رمزى) بيده ، مجيبًا :

ـ (نور) طلب حجرة لاجتماعات الفريق ، تمهيدًا لعودتنا إلى عملنا ، كفريق علمى ، وأنا فى طريقى للانضمام إليهم .

غمغم (طارق) :

ـ هل سينضم إليكم (محمود) أيضًا ؟!

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

ـ إننا لا نعرف حتى أين هو .

قال (طارق) فى سرعة :

ـ أنا أعرف .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ وهل يمكنك أن تبلغنا حقيقة موقفه ؟!

ابتسم (طارق) ابتسامة حزينة ، وقال :

ـ كان يمكننى هذا ، قبل ربع ساعة فحسب .

سأله (رمزى) :

ـ ماذا تغير ، خلال هذه الدقائق الخمس عشرة ؟!

أشار (طارق) بيده ، مجيبًا :

ـ أوقفونى عن العمل .

هتف (رمزى) مستنكرًا :

ـ ولمـاذا ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا فى مرارة :

ـ إجراءات قانونية .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ـ كما يزعمون .

تطلَّع (رمزى) إليه ، فى اهتمام شديد ، فابتسم فى ارتباك ، قائلاً :

ـ أراهن أنك تحاول كشف أغوارى ، فما قرأت عنك ، فى كتب التاريخ ، يؤكِّد أنك كنت أبرع أهل الأرض ، فى الـ ...

قاطعه (رمزى) فى اهتمام :

ـ قرأت ؟!

ابتسم (طارق) فى حنان ، وقال :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر كم أشعر بالفخر ، كلما قرأت ما يتعلَّق بـك !! إنهم يعتبرونك أسطورة فى التحليل النفسى ، و ...

قاطعه (رمزى) ، وهو يميل نحوه ، قائلاً بلغة الفريق الخاصة :

ـ ألا تذكر عملك معنا فى زمننا ؟!

نظر إليه (طارق) فى دهشة ، مغمغمًا :

ـ أية لغة تلك ؟!

اعتدل (رمزى) ، وابتسم فى هدوء ، قائلاً :

ـ هل تعرف يا (طارق) ؟!.. لعبة الزمن هذه بالغة الغرابـة ، ومهما تصوَّرت قدرتك على فهمها ، بعد عبورك الزمن عدة مرات ، فهى مصرَّة دومًا على مفاجأتك وإبهارك ، مهما حاولت !!

قال (طارق) فى حذر :

ـ من الواضح أن هذه ليست إجابة سؤالى .

قال (رمزى) بلهجة غامضة :

بل هى إجابة .. إجابة مباشرة للغاية .

وانعقد حاجبا (طارق) فى شدة ..

فقد بدت عبارة (رمزى) غامضة .. للغـاية ..

* * *

توتر غامر ذلك الذى شمل كيان (أكرم) كلـه ، وهو يقول للقائد الأعلى فى عصبية شديدة :

ـ هل تطلب منى خيانة فريقى ؟!

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ بل أطلب منك أن تنتمى إلى وطنك ، أكثر مما تنتمى لفريقك .

قال فى صرامة غاضبة :

ـ فريقى هو وطنى .

قال فى صرامة شديدة :

ـ وفريقك يعمل من أجل وطنه .

أشاح (أكرم) بوجهه ، قائلاً :

ـ هذا يحتم ألا أخونه .

قال القائد الأعلى ، وهو يعود خلف مكتبه :

ـ حتى لو كان فريقك يسعى لخيانة وطنه .

استدار إليه (أكرم) بحركة حادة ، وهو يقول فى حدة :

ـ خيانة الوطن أم خيانة النظام .

عقد القائد الأعلى شفتيه ، وهو يقول :

ـ بالنسبة لى لا فارق .

شد (أكرم) قامته ، قائلاً :

ـ بل هناك فارق ضخم ، وهذا أوّل ما تعلمته من (نور) ؛ فالوطن ثابت ، والنظم متغيرة ، وهناك فارق كبير ، بين التضحية من أجل وطن ، نشأنا فى كنفه ، وشربنا من نيله ، وتنفسنا هواءه ، ونبت طعامنا فى ترابه ، وبين التضحية من أجل نظام ، قد يكون فاسدًا ، أو سلطويًا ، يمكن أن تؤدى تجاوزاته إلى تحطيم الوطن .

ضرب القائد الأعلى سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا :

ـ فلسفة سخيفة ، لا ينبغى أن يؤمن بها أى رجل أمن ، المفترض فيه أن يطيع الأوامر دون مناقشة .

شد (أكرم) قامته أكثر ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إذن ، فأنا لا أصلح رجل أمن ؛ لأننى لا أستطيع طاعة الأوامر دون مناقشة ، وخاصة لو كانت تطالبنى بخيانة فريقى .

بدا القائد الأعلى شديد الصرامة ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت ترفض .

قال (أكرم) فى حزم شديد :

ـ وبشدة .

صمت القائد الأعلى لحظات ، وهو يتطلّع إليه فى صمت ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

ـ هل تعلم أننى أستطيع إجباركم ، على البوح بسر لغتكم السخيفة هذه ؟!

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

ـ يمكنك أن تحاول .

أحنقت العبارة القائد الأعلى ، فضم شفتيه ، وهو يتطلّع إلى (أكرم) فى غل شديد ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ نعم .. يمكننى أن أحاول .

ثم مرَّر يده على جزء من سطح مكتبه ، فانبعثت منه صورة هولوجرامية مجسمة ، لرأس الرائد (هيثم) فغمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ لن يمكننى اعتياد هذا أبدًا .

رمقه القائد الأعلى بنظرة نارية ، ثم قال للرائد (هيثم) فى صرامة :

ـ أما زلت تحتفظ بالسيدة (مشيرة) ؟!

أجابه (هيثم) :

ـ فى انتظار أوامرك .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وتطلَّع فى شماتة إلى (أكرم) ، الذى بدا عليه مزيج من التوتر والقلق ، وقال :

ـ أوامرى أن تحتفظ بها لست ساعات أخرى ، وبعدها إن لم أبلغك بإطلاق سراحها .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى قسوة :

ـ انسف رأسها .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول فى غضب :

ـ يا للحقارة .

أشار إليه القائد الأعلى ، فانطلق من السقف ذلك الشعاع الأرجوانى ، ليصعقه مرة أخرى ، ويلقيه أرضًا ، وجسده ينتفض فى قوة وألم ، فى حين بدا القائد الأعلى هادئًا ، وكأن شيئًا لم يحدث ، وهو يكمل للرائد (هيثم) :

ـ وانسف رأسها أيضًا ، لو أبلغتك فى أية لحظة ، أن زوجها يخوننا .

وتراجع فى مقعده ، وهو ينهى الاتصال مع (هيثم) ، ثم يلتفت إلى (أكرم) ، الذى يواصل جسده انتفاضاته ، قائلاً :

ـ أترى .. هأنذا قد حاولت .

وابتسم فى ظفر ..

وشماتة ..

وغضب ..

* * *

« إذن فهو لا يذكر !! »

نطقت (سلوى) العبارة بلغة الفريق ، فى مقر اجتماعاتهم الجديد ، فأشار إليها (نور) وقال باللغة نفسها ، التى قرَّروا عدم استخدام غيرها ، داخل المقر ، الذى سيحوى حتمًا عدة وسائل للتنصت والمراقبة :

ـ أو قولى : إنه لا يعرفها .

تساءلت (نشوى) :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابها (نور) فى اهتمام :

ـ لقد تصوَّرنا ، عندما وجدنا (طارق) فى هذا الزمن ، أنه (طارق) نفسه الذى عرفناه .

تساءلت (نشوى) فى حذر :

ـ أليس هو ؟!

أشار بسبَّابته ، مجيبًا :

ـ هو نفسه ، بشحمه ولحمه ، ولكن فى زمنه ، الذى عاد منه إلينا .

اتسعت عينا (سلوى) ، وهى تقول :

ـ أتعنى أنه لا يذكرنا ؟!

أجابها فى حزم :

ـ بالنسبة إليه ، لم يلتق بنا سوى فى هذا الزمن ، ولكنه يعرف كل شىء عنا ، لأننا بالنسبة إليه ، وإلى هذا الزمن ، أسطورة أمنية يتداولونها ، بالإضافة إلى أنه ..

صمت لحظات ، يدرس الموقف ، ثم أدرك أنه ليس من الحكمة أن يكشف الحقيقة الآن ، فتابع :

ـ مبهور بنا كثيرًا .

قال (رمزى) :

ـ لقد أدركت هذا ، عندما قال : إن كل معلوماته عنا مستقاة

من قراءات فحسب ، ولقد تفرَّست ملامحه ، وأدركت أنه لا يكذب ، أو يفتعل هذا .

ران عليهم الصمت لحظات ، ثم غمغمت (سلوى) :

ـ رباه !.. لم أتوقع هذا بالفعل !!

وقالت (نشوى) فى بطء :

ـ ربما يعنى هذا أنهم لم يتوصلوا إلى سر السفر عبر الزمن بعد .

قال (رمزى) :

ـ أعتقد هذا .

قال (رمزى) فى اهتمام :

ـ ولكن هذا يعنى أن الأمور ستتطوَّر هنا ، وأنهم بعد سنوات قليلة ، سيرسلون (طارق) إلينا(*) ، وسيحاولون إنقاذ زمننا أيضًا(**) مما يعنى أنهم ليسوا بالسوء الذى نتصوَّره يا (نور) .

(*) راجع قصة (فارس الزمن) ... المغامرة رقم (127) .

(**) راجع قصة (قراصنة الزمن) ... المغامرة رقم (140) .

صمت (نور) لحظات ، يدرس السؤال ، قبل أن يقول :

ـ التغيرات الزمنية أمر مدهش ، وعسير الفهم للغاية يا (رمزى) ، فنحن لا نذكر محاولة إنقاذ زمننا ، ولكننا عرفنا عنها من بقايا اختزنها عقل (أكرم) وحده ، مع تجربته العنيفة ، بسبب هذا(*) ، وما كنا سنعرف شيئًا عنها قط ، لو لم يحدث هذا ، فعندما يحدث تغيير ما ، فى نقطة من نقاط الزمن ، يتغير المسار كله بعدها ، فلا يصبح هناك وجود للامتداد الأصلى ، الذى كان قبل حدوثها ، وأى شخص يحيا فى الامتداد الجديد ، لا يمكنه أن يعرف قط ما كان سيصبح عليه ، لو استمر الامتداد الأصلى ؛ لأنه ببساطة ، لم يحيا قط ، فى الامتداد الذى هو فيه .

بدا الشرح مربكًا للغاية ، حتى إن أفراد الفريق اعتصروا أذهانهم ، محاولين استيعابه ، قبل أن تقول (نشوى) :

ـ هل تعنى أنه لو قُدِّر لنا العودة بالزمن إلى الوراء ، وتفادينا ما حدث لنا هناك ، فى ذلك الكهف العجيب(**) ، لما أتينا إلى هنا ، ولما فارقنا عصرنا .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ولَمَا أدركنا أن هذا قد حدث .

(*) راجع قصة (بلا جسد) ... المغامرة رقم (143) .

(**) راجع قصة (المفقودون) ... المغامرة رقم (153) .

قال (رمزى) فى اهتمام :

- ربما كانت هذه وسيلتنا ، للعودة إلى الزمن الذى ألفناه يا (نور) .

هزَّ رأسه ، قائلاً :

- كلا مع الأسف .. فعندما كنا نسافر عبر الزمن فى الماضى ، كنا ننتقل إلى أزمنة لا تخصنا ، ولذلك كانت عودتنا هى عودة إلى زمننا ، الذى يمكن أن تستقر فيه خلايانا ، وتحيا فى أمان ، أما لو عدنا إلى زمننا الآن ، فستواجهنا عقبتان رئيستان ، أولاهما استحالة تواجدنا بجسدين فى زمن واحد ، وثانيتهما أننا ، حتى لو نجحنا فى منع الكارثة ، سينتهى بنا الأمر إلى زمن ، يستحيل أن تستقر فيه خلايانا .

ثم تنهَّد ، مضيفاً :

- لا بد وأن تعتادوا الأمر يا رفاق .. لقد انتهت علاقتنا بالزمن الذى أتينا منه إلى الأبد ؛ فنحن ننتمى إلى هذا الزمن الآن ، وأفضل ما يمكن أن نفعله ، هو أن نحاول الاستقرار فيه ، والتكيُّف معه .

تساءلت (سلوى) :

- ولماذا نضع خطتنا إذن ؟!

عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يجيب :

- لنعلم ما الذى يخفونه عنا .

غمغمت (سلوى) :

- أكرم افترض أن ...

بترت عبارتها قبل أن تكملها ، وتساءلت فى قلق :

- ألم يعد (أكرم) من لقاء القائد الأعلى بعد ؟!

سؤالها جعل الجميع يطرحون على أنفسهم سؤالاً واحدًا ..

ماذا يفعل (أكرم) هناك ، فى حجرة القائد الأعلى ؟!..

ماذا ؟!..

* * *

مع كل الآلام ، التى يشعر بها فى جسده ، والمرارة التى تملأ قلبه ، وقف (أكرم) أمام القائد الأعلى ، يقول فى حنق :

- ليس من الشرف أن تفعل هذا .

أجابه فى صرامة :

- مهمتى هى حماية الأمن القومى لـ (مصر) ، وفى سبيل هذا ، أنا مستعد لفعل أى شىء .. وكل شىء .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ فريقنا لا يمكن أن يهددَ الأمن القومى هنا .. مهمتنـا الأولـى هى الحفاظ عليه بأرواحنا .

قال فى غضب :

ـ مهمتكم نحددها نحن .

قال (أكرم) فى غضب أكبر :

ـ حدَدوها بشرف .

نظر إليه القائد الأعلى فى غضب ، ثـم تراجـع فـى مقعده فـى بطء شديد ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلا :

ـ مناقشة عقيمة .. ليس من المفترض حتى أن يسمح لعضو فريق مثلك ، بمقابلة القائد الأعلى شخصيًا :

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ أنت استدعيتنى .

قال ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته فى عنف :

ـ وأنتظر منك طاعة أوامرى .

قال فى مرارة غاضبة :

ـ بأن أخون فريقى .

قال صارمًا :

ـ بأن تُخلص لوطنك .

لوَّح (أكرم) بيده ، هاتفًا :

ـ وطنى يتعامل كمنظمة إجرامية ، ويخيرنى بين خيانـة رفـاقى ، أو مقتل زوجتى .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ أمن الوطن يحتم هذا .

قال فى حدة :

ـ لقد حافظنا طيلة عمرنا على أمن الوطن ، وأمن الكوكب كلـه فـى بعض الأحيان ، ولم نلجأ مرة واحدة إلى هذه الوسائل الحقيرة .

ضمَ القائد الأعلى شفتيه محنقًا ، من وصف أعماله بالحقارة ، وقال فى صرامة شديدة ، صنعها حنقه هذا :

ـ حقيرة أو غير حقيرة .. إنه خيارك .

وعضَّ (أكرم) شفتيه فى قهر ...

لا يمكنه أن يخون فريقه ..

ولا يمكنه أن يتخلى عن (مشيرة) ..

(مشيرة) ، التى تخلى عنها ، على الرغم منه ، لما يزيد عن ثلاثين عامًا ..

والتى ضاع شبابها حزنًا عليه ..

كان يتمنى أن يجدها ..

أن يضمها إلى صدره ..

وأن يعوّضها بحبه وحنانه عما فقدته ..

حتى آخر لحظة فى عمره ..

نعم هذا هو الحل ..

عمره ..

وفى بطء ، تطلّع إلى القائد الأعلى مباشرة ، قائلاً :

ـ عندى حل آخر .

مال القائد الأعلى نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

اقترب من مكتبه ، ومال نحوه ، وكأنه يهم بأن يهمس فى أذنه ، فمال القائد الأعلى بدوره نحوه ، وسمعه يهمس بالفعل :

ـ حيـاتى .

وقبل أن يفهم ما يعنيه ، انقض عليه (أكرم) ..

وبمنتهى العنف ..

لقد قرَّر أن يفتدى زوجته وفريقه ..

بحياته .

* * *

8- نصف آلى ..

عقد الدكتور (راشد) كفيه خلف ظهره ، وهو يقف أمام الكمبيوتر الهولوجرامى ، يراجع نتائج الأبحاث المعقدة ، التى أجريت على تلك النسخة شبه الآلية ، المصنوعة من مزيج من مادة (الزوريوم) والجينات البشرية ، الخاصة بعضو الفريق السابق (محمود) ..

كانت تلك النسخة تجلس صامتة ، على طرف منضدة التجارب ، جامدة تمامًا ، وكأنها تمثال من الشمع ، دون أية انفعالات أو تأثيرات ، حتى إن أحد العلماء غمغم :

- أتساءل أحيانًا ، إذا ما كان حيًّا ؟!..

أجابه الدكتور (راشد) ، دون أن يلتفت إليه :

- بعض خلايا تكوينه حية ، وبقايا جسده من (الزوريوم) ؛ لذا فلا أحد يستطيع إجابة مثل هذا السؤال بدقة .

غمغم العالم :

- منذ جاء إلى هنا ، وهو أشبه بالتمثال .. إنه حتى لم يأكل أو يشرب ، أو يبدو عليه أدنى احتياج لهذا .

التقط الدكتور (راشد) نفسًا عميقًا ، وقال :

- طاقة (الزوريوم) ما زالت تغذيه ، حتى هذه اللحظة ، وستواصل هذا لعام أو عامين على الأقل ، وخلالهما سيبدأ فى التكيف ، وسيبدأ فى تناول الطعام ، والعيش كأى شخص عادى ، حتى إنه سيكون من الصعب عليك أن تميزه ، وسط مجموعة من البشر .

هزّ العالم رأسه ، وقال :

- فى وضعه الحالى ، يصعب علىّ استيعاب هذا .

قال الدكتور (راشد) :

- الزمن سيحسم الأمور .

ثم التفت إلى نسخة (محمود) ، وأضاف :

- ولكن ما يهمنا ونسعى إليه الآن ، هو ما اختزنه من معلومات وذكريات ، عن نهر الزمن .

سأله العالم فى اهتمام :

- هل تتوقعون أن يفيدنا هذا ...

أعنى علميًّا ؟!

أجابه فى ثقة :

- بالتأكيد .. الزمن لم يكن منذ نصف قرن ، سوى مادة تصلح لروايات الخيال العلمى وأفلامه ، ولكن السنوات الماضية ، ومنذ

اخترع الروسى (شيرنوبروف) أولّ آلة زمن ، فى تسعينات القرن العشرين(*)، تزايدت معلوماتنا كثيرًا عن الزمن ، والسفر عبر الزمن .

غمغم العالم :

ـ ولكننا لم نقم بتجربة عملية بعد .

أشار إلى نسخة (محمود) ، مجيبًا :

ـ هذا قد يقودنا إليها .

بدت علامات الفهم والاستيعاب على وجه العالم ، وتابع الدكتور (راشد) :

ـ المعلومات التى سنستقيها منه ، عن نهر الزمن ، ستقفز بطومنا فى هذا المضمار ، ألف عام من التجارب النظرية على الأقل ، وقد نفاجئ الكل ، بعد عام أو عامين فحسب ، بأولّ رحلة رسمية عبر الزمن .

التقط العالم نفسًا عميقًا ، وغمغم :

ـ من يدرى ؟!

نعم ..

من يدرى ؟!..

* * *

(*) حقيقة : العالم (Chernoprove) .

ابتسم الذئب ابتسامة هادئة رصينة ، وهو يجلس حول المائدة المستديرة ، فى مقر قيادة المقاومة ، وتطلّع إلى المحيطين به ، قبل أن يقول :

ـ لن يتمكنوا من كشف أمره ، مهما بلغت دقة وحداثة أجهزتهم التكنولوجية الحديثة ، ولن يخبرهم إلا ما لا يكشف أمرنا فحسب .

وفرقع سبّابته وإبهامه بصوت مسموع ، قبل أن يضيف :

ـ حتى تحين اللحظة المناسبة .

زمجر الدب ، مغمغمًا :

ـ ومتى تحين ؟!

تراجع الذئب فى مقعده ، وقال :

ـ قريبًا .

تبادل الكل نظرة صامتة ، لا تشف عن الرضا ، قبل أن يقول الليث فى ضيق :

ـ لدينا اعتراض أيها الذئب .

سأله الذئب فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

أجابه فى توتر :

ـ المفترض أننا قادة فرق المقاومة ، وعلى الرغم من هذا ، فكثيرًا ما تخفى عنا خططك ، ونواياك المستقبلية ، وكأنك الزعيم الأوحد ، لكل فصائل المقاومة .

قال الذئب فى هدوء :

ـ والمفترض أيضًا أننى زعيم زعماء الفصائل .

قال التمساح فى غضب :

ـ وهذا ما نعترض عليه أيضًا .. لا ينبغى أن يكون هناك زعيم للزعماء .. بل مجلس للزعماء .. مجلس نتساوى فيه جميعًا ، فى الحقوق والواجبات ، دون أن يعلو أحدنا عن الآخر .

صمت الذئب لحظات ، بدا عليه خلالها التفكير العميق ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أليس من المفترض أن يكون للمجلس رئيس ؟!

قال الفهد فى صرامة :

ـ بالانتخاب الحر .

التفت الذئب إليه فى هدوء ، ثم إلى الدب ، الذى غمغم بصوته الغليظ :

ـ أنا أنتخبك بلا تردُّد .

منحه الذئب ابتسامة باهتة سريعة ، ثم شبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يغرق فى التفكير لحظات ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ لا بأس .. إنه مطلب عادل .

تبادل الليث والفهد والتمساح نظرة متألقة ، قبل أن يسأله الليث فى حذر :

ـ إذن فأنت توافق على الانتخابات .

أجابه فى هدوء :

ـ بالطبع .

ثم رفع سبَّابته ، مستدركًا فى حزم :

ـ على أن تتم بين خمستنا فقط .

أجابه التمساح فى حماس :

ـ يمكننا أن نجريها فورًا .

قال الذئب ، وهو يتفرَّس وجوههم جميعًا :

ـ ليس بهذه السرعة .. الأمر يحتاج من كل منا إلى مهلة للتفكير واتخاذ القرار .

وصمت لحظة ، ليرى تأثير كلمته على وجوههم ، قبل أن يضيف :

ـ لو لم تكونوا قد اتخذتم قراركم بالفعل .

تبادل الثلاثة نظرة صامتة ، ثم غمغم الفهد :

ـ الأمر يمكنه أن ينتظر .

ثم التمعت عيناه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ ليوم واحد .

ابتسم الذئب ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سنجرى الانتخابات غدًا ، فى نفس الموعد . تبادلوا بعدها القليل من الكلمات ، قبل أن ينصرف الثلاثة ، ويبقى الدب وحده مع الذئب ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل ستسمح بإجراء هذه الانتخابات بالفعل ؟!

أجابه الذئب ، فى بطء وهدوء :

ـ إنه إجراء ديمقراطى .

لوَّح الدب بذراعه الضخمة كلها ، وهو يقول :

ـ ألم تر النتائج فى عيونهم ؟!.. لقد تآمروا لعزلك ، وهذا ما سيفعلونه غدًا حتمًا .

بدت له ابتسامة الذئب غامضة ، وهو يقول :

ـ لن يفعلوه .. اطمئن .

عقد الدب حاجبيه ، وهو يتطلَّع إليه ، قبل أن يقول فى انفعال :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

صمت الذئب بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه ، قبل أن ينهض من مقعده ، قائلاً :

ـ هل تعلم كيف انتصر صلاح الدين(*) ، وكيف تحرَّر (العراق) من الاحتلال الأمريكى(**) ؟!

لم يفهم الدب ما يعنيه بسؤاله بالضبط ، فغمغم فى حذر :

ـ كيف ؟!

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بالقيادة الموحَّدة .. (صلاح الدين) نجح فى توحيد الصف العربى أوَّلاً ، ثم جمع الجيوش العربية كلها تحت قيادته ، وبها استطاع التصدِّى للحملات الصليبية ، واستعادة (القدس) وتحريرها .. وفى (العراق) ظل الاحتلال مسيطرًا ، حتى توقفت الميليشيات والفصائل المتصارعة عن مقاتلة بعضها البعض ، واتحد الكل تحت قيادة واحدة ، فتحوَّلوا إلى قوة ضاربة ، نجحت فى التصدى للاحتلال الأمريكى ، وتكبيده خسائر هائلة ، أجبرته على الرحيل .

(*) صلاح الدين الأيوبى : (1138 - 1193م) : هو (يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان الأيوبى) ، وهو مؤسس الدولة الأيوبية ، فى (مصر) و(الشام) ، وأطراف (العراق) و(تركيا) ، أصبح سلطانًا لـ (مصر) ، وهزم الصليبيين فى (حطين) ، عام 1187م .

(**) احتلت الولايات المتحدة الأمريكية (العراق) عام 2003م ، عقب انهيار برجى التجارة العالميين ، فى سبتمبر 2001م ، بحجة واهية كاذبة .

خشى الدب أن يكون ما فهمه صحيحًا ، فتساءل فى حذر أكثر :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟!

التفت إليه فى بطء ، قائلاً :

ـ الاتحـاد .

لم يفهم الدب ، فتراجع بحركة عجيبة ، جعلت الذئب يكمل :

ـ لقد بذلت جهدًا خرافيًا ، خلال السنوات الماضية ، حتى صنعت حجرة العمليات ، وزوّدتها بالطاقة الدائمـة المطلوبـة ، وجمعت زعماء المقاومة كلهم تحت مجلس واحد ، وبعد أن استقرت الأمور ، وحانت فرصة مثاليـة لأوّل مرة ، هاهم أولاء يطمعون فيمـا أفنيت فيه عمرى ، ويرغبون فى عزلى من القيادة .

زمجر الدب ، قائلاً :

ـ نحن خمسة فحسب ، ولو أمكننا اكتسـاب صوت واحد من ثلاثتهم ، فسوف ...

قاطعه فى هدوء حازم :

ـ لقد حزموا أمرهم بالفعل .

قال فى توتر :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

صمت الذئب لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول ، وعينـاه تتطلعان إلى شىء :

ـ فى ثلاثينات القرن العشرين ، واجـه وريث الأب الروحـى ، لعصابات (المافيا) مشكلة مماثلة[*] .

سأله الدب فى لهفة :

ـ وكيف أمكنه أن يحلّها ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيبه :

ـ فى حزم .

ولم يفهم الدب الجواب ، ولكنه أدرك أن الذئب قد اتخذ قرارًا حاسمًا ..

صـارمًا ..

وخطيرًا ..

للغـاية ..

* * *

عندما انقض (أكرم) على القائد الأعلى ، كان يتصوّر أنـه سيباغته ، ويبـاغت نظم الأمن الإليكترونيـة الرقميـة ، التى لـم يستطع استيعابها ..

(*) حقيقـة .

وكان يدرك جيدًا ، أن عقوبة الاعتداء على القائد الأعلى ، مهما كانت الأسباب ، هى النفى ، أو السجن مدى الحياة ، بعد إلغاء عقوبة الإعدام رسميًا ..

ويدرك أن وسائل الأمن الرقمية ، قد تطلق عليه نوعًا من الأشعة القاتلة ، لو ظفر به ..

كان يدرك كل هذا ..

ولكنه فعلها ..

لم يكن أمامه خيار ، مع المعضلة التى وجد نفسه فيها ..

إما أن يخون ..

أو يتخلى ..

وهو لا يستطيع خيانة فريقه ..

أو التخلى عن زوجته ..

عن حب حياته ..

* * *

ولكنه مستعد ، فى سبيل حياة الاثنين ، أن يضحى بحياته نفسها ، دون أدنى تردُّد أو حذر ..

وفى سبيل الفريق و (مشيرة) ، فعلها ..

ولكنه لم يبلغ هدفه ..

أجهزة الكمبيوتر شديدة التطوّر ، فى هذا العصر ، كانت أسرع منه بكثير ..

فعندما اقترب من مكتب القائد الأعلى ، رصدت حركته ، وحدَّدت انفعالاته ، ورصدت التغيرات الحرارية فى جسده بدقة مذهلة ..

وقبل حتى أن يبدأ وثبته ، بدأت هى عملها ..

ولقد انقضّ هو ، ووثب ليقبض على عنق القائد الأعلى ، ولكنه فوجئ بشبكة لزجة ، أشبه بشباك العنكبوت ، تلتف على جسده فجأة ، وتلتصق به فى قوة ، ثم تجذبه إلى الخلف فى عنف ، حتى ارتطم بالجدار بمنتهى القوة ، والتصق به تمامًا ، على ارتفاع متر على الأقل من الأرض ..

وبينما يحاول مقاومة تلك الخيوط المتينة اللزجة عبثًا ، غمغم القائد الأعلى فى غضب ، من خلف مكتبه :

ـ أحمق !..

ثم نهض إليه ، وعقد حاجبيه فى غضب ، وهو يتابع :

ـ بدائى وهمجى .. تمامًا كما وصفتك كتب التاريخ .

زمجر (أكرم) ، فى غضب عصبى ، فتابع فى صرامة :

ـ كان يمكننى أن أقتلك ، جزاء ما أقدمت عليه ، ولكننى أدرك منذ البداية همجيتك واندفاعك .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ وربما لهذا وقع اختيارى عليك .

زمجر (أكرم) ، على نحو أشد غضبًا ، والخيوط اللزجة ، الملتصقة بفمه ، تمنعه من الكلام ، فقال القائد الأعلى ، فى صرامة شديدة :

ـ غضبك هذا لن يفيدك .. ستضيع مهلتك ، وأنت مقيد هنا ، والرائد (هثيم) لن يتردَّد لحظة واحدة ، فى نسف رأس زوجتك ، فور انتهاء المهلة ، التى حدَّدتها له .

كلماته هذه جعلت (أكرم) يتوقَّف عن المقاومة ، وعن الزمجرة أيضًا ، وهو يتطلَّع إلى القائد الأعلى فى غضب ، جعل هذا الأخير يبتسم فى ظفر ، قائلا :

ـ هذا أفضل كثيرًا .

قالها ، ولوَّح بيده فى الهواء ، فاختفت تلك الشبكة اللزجة فجأة دون مقدمات ، وسقط (أكرم) أرضًا ، فى حين ألقى عليه القائد الأعلى نظرة ظافرة ، ثم عاد إلى مكتبه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ ينبغى أن تدرك أن أساليبك الهمجية لم تعد مجدية ، فى هذا العصر ، الذى تفوق فيه التكنولوجيا كل تصوراتك ، فمهما بلغت سرعتك ، لن يمكنك الإفلات من نظم الأمن ، التى تعمل بسرعة واحد على ألف من الثانية الواحدة ، وهى سرعة لا يمكن أن يبلغها أى كائن حى ، مهما بلغت سرعته .

وجلس خلف مكتبه ، وهو يبتسم فى ثقة ، مكملاً :

ـ باختصار ، أنت خاسر على كل المستويات .

ثم عاد حاجباه ينعقدان بمنتهى الصرامة ، وهو يكمل :

ـ وستدفع زوجتك الثمن .

نهض (أكرم) فى بطء وانكسار ، مغمغمًا :

ـ وماذا لو انتحرت ؟!

أجابه فى حزم :

ـ ستلحق هى بك ، بعد دقيقة واحدة ، وأعدك أن أنتقى أبشع وسيلة ممكنة لموتها ، بحيث تعانى عذابًا لا يوصف ، قبل أن تلقى مصرعها .

هتف (أكرم) فى مرارة :

ـ أنت وحش آدمى .

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ لقد أخبرتك .. إنها مسألة أمن قومى .

لم يشعر (أكرم) ، فى حياته كلها ، بالقهر والعجز والإحباط ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة المقيتة ..

ولأوَّل مرة فى حياته ، لم يجد لمعضلته حلاً ..

أى حل ..

لا بد وأن يختار ..

الفريق ..

أو مشيرة ..

استغرق تفكيره المقهور لحظات ، قبل أن يغمغم ، بكل مرارة الدنيا :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟!

وتألقت عينا القائد الأعلى فى ظفر ..

تألقتا بمنتهى الشدة ..

والثقة ..

* * *

بمنتهى اللهفة ، استقبل أعضاء الفريق (أكرم) ، فى مقرهم الجديد ، وهتف به (نور) فى قلق :

ـ لماذا تأخَّرت ؟!

تحاشى (أكرم) النظر إليه ، وهو يغمغم :

ـ يتحدثون كثيرًا فى هذا العصر .

حاول (رمزى) أن يتفرس ملامحه ، ولكنه أبعدها عنه أيضًا ، وجلس فى ركن المقر ، وهو يضيف فى عصبية :

ـ لقد أرهقونى للغاية .

تطلَّع إليه الجميع فى صمت ، قبل أن تتجه إليه (سلوى) ، وتضع يدها على كتفه ، قائلة فى إشفاق :

ـ يمكنك أن ..

انتفض جسده فى عنف للمستها ، فابتعدت عنه بحركة حادة ، قبل أن يقول فى عصبية شديدة :

ـ معذرة ، ولكننى ما زالت أشعر بالتوتر .

تبادلوا نظرة شديدة القلق ، ثم سأله (رمزى) فى حذر :

ـ لِمَ أرادك القائد الأعلى بالضبط ؟!

أجابه ، وهو يتحاشى النظر إليه :

ـ استجواب سخيف .

سأله (نور) :

ـ بشأن ماذا ؟!

أجابه ، وهو يتطلَّع إلى ركن خال :

ـ بشأن الطلب الذى تقدَّمت به ، للحصول على مسدس قديم .

سألته (نشوى) فى دهشة :

ـ وهل يستحق هذا استجوابًا طويلاً ؟!

غمغم :

ـ قوانين حمل السلاح شديدة التعقيد ، فى هذا العصر .

تطلَّع إليه الجميع بنظرة قلقة مرة أخرى ، ثم قال (رمزى) فى بطء :

ـ (أكرم) .. أنت صديق رائع ، وزميل شديد النشاط والبراعة .

شعر (أكرم) بمرارة شديدة ، مع تلك الكلمات ..

صديق رائع ؟!..

أهو حقًّا صديق رائع ؟!

هل يستحق حتى لقب الصديق ؟!..

هـل ؟!

وفى حزم مفاجئ ، أكمل (رمزى) :

ـ ولكنك لا تجيد الكذب .

عضَّ (أكرم) شفتيه فى مرارة مع العبارة ، ولكنه لـم يجرؤ حتى على الالتفات إليهم ، وهو يلوذ بصمت ثقيل ، جعل (نور) يسـأله ، فى صوت أراده هادئًا ، ولكنه خرج ، على الرغم منه ، شديد القلق :

ـ ما سبب استدعائه لك ؟

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ـ السبب الحقيقى .

عضَّ (أكرم) شفتيه مرة أخرى ، وقال دون أن يلتفت إليهم :

ـ لقد أعادوها .

سألته (سلوى) :

ـ مـن ؟!

أجاب بكل مرارة الدنيا :

ـ (مشيرة) .

تصوَّر (نور) أنه قد فهم الأمر ، فسأله فى خفوت متعاطف .

ـ هل صدمتك هيئتها فى هذا العمر ؟!

أجابه بنفس المرارة :

ـ هذا لا يصنع عندى أدنى فارق .. لقد كـانت لهفتـى عليهـا ، أكثر مما كانت من قبل .. إننى أحبها .. ألا تفهم ما يعنيه هذا ؟!

سأله فى قلق شديد :

ـ لماذا تكذب إذن ؟!

صمت (أكرم) لحظات ، وهو يقاوم مرارته الشديدة ، قبل أن يلتفت إليهم ، وتتألَّق دموع الألم فى عينيه ، وهو يجيب :

ـ لقد خنتكم .

واتسعت عيون الجميع عن آخرها ..

فقد كانت الصدمة عنيفة ..

للغـاية ..

* * *

« أخيـرًا .. »

نطقها العالم ، المسئول عن مشروع نسخة (محمود) ، فـالتفت إليه الدكتور (راشد) ، متسائلاً فى لهفة :

ـ هل فعلناها ؟!

أشار العالم بيده ، مجيبًا :

ـ طاقته بدأت تستجيب .

أسرع الدكتور (راشد) إليه ، متسائلاً :

ـ هل يمكننا تسجيلها ، فى صورة مرئية ؟!

هزَّ العالم رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ الآن يمكننا رصدها وتسجيلها فحسب .

ثم التفت إليه ، مستطردًا :

ـ وهذه هى البداية .

التفت الدكتور (راشد) إلى نسخة (الزوريوم) ، المعدَّلة بجينات وراثية ، وأدهشه أن بدأت تحرك أصابعها فى بطء ، وجفناها يرتعشان ، وكأنها بشرى يستعيد وعيه ، بعد غيبوبة طويلة ، فغمغم فى انفعال :

ـ إنه يصحو .

ابتسم العالم ، متسائلاً :

ـ بل طاقته تتكيف ، مع جسدها الجديد .

تمتم الدكتور (راشد) :

ـ ترى هل ...

قبل أن يتم تساؤله ، قال العالم ، فى اهتمام شديد :

ـ التسجيل يتصاعد .

استدار إليه الدكتور (راشد) فى لهفة ، وشاهد الأرقام تتصاعد ، فى سرعة ، فسأله فى انفعال :

ـ هل نقترب من الصورة المرئية ؟!

كانت النسخة قد بدأت فى تحريك أطرافها ورأسها فى بطء ، عندما قال العالم فى اهتمام :

أعتقد هذا .. ربما نحصل على أصوات أوّلاً .

مع آخر كلمات عبارته ، بدأ جهاز استقبال الطاقة يصدر بعض الأصوات العجيبة المتداخلة ، فتحرك العالم فى سرعة ، وهو يقول فى حماس :

ـ لو تواصل البث على هذا النحو ، سنحصل على صورة مرئية ، قبل ساعة واحدة .

تعلقت عينا الدكتور (راشد) بالشاشة الكبيرة ، التى تنقل ما بثته إليها طاقة (محمود) ، والتى بدأت الأصوات التى تنبعث منها تتزايد ، وتتداخل ، والعالم يضغط عدة أزرار ، ويضيف عدة أرقام ، فى حين راحت النسخة تهزُّ رأسها فى بطء ، كما لو أنها تتحرَّر من شىء ما ..

ثم فجأة ، امتزجت الأصوات بصورة مشوَّشة ..

صورة تظهر وتختفى فى سرعة ..

وفى حماس أكثر ، راح العالم يضيف الأرقام ، ويعدِّل الموجات ، و ...

وفجأة ، بدأت الصورة تتضح ..

بدأت باهتة ..

ثم راحت تصفو ..

وتصفو ..

وتصفو ..

وبكل اهتمام الدنيا ، وقف الدكتور (راشد) والعالم ، يتطلعان إلى الشاشة ، التى ظهر عليها فى البداية ضباب كثيف ، أخذ ينقشع فى بطء ..

ثم فجأة ، ظهرت صورة واضحة ..

صورة جعلتهما يرتدان معًا فى عنف ، والعالم يهتف ، فى لهجة أشبه بالصراخ :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

واتسعت عيونهما معًا ، على نحو لم يحدث من قبل قط ..

فما رأياه أمامهما ، على الشاشة الكبيرة كان مذهلاً ، ويتجاوز كل ما توقعاه ..

وبكل المقاييس .

* * *

(انتهى الجزء الأوَّل بحمد الله)

عالم جديد

- بعد عصرهم ، بأكثر من ثلاثة عقود ، استيقظ فريق نور ..
- استيقظ فى مستقبله .. وبلا أمل فى العودة ..
- وكان على الفريق أن يواجه عالمًا جديدًا ، يختلف عما عرفه ..
- عالم من التطوُّر الفائق ، والصراعات العنيفة ، والغموض اللامتناهى ..
- وكان عليهم أن يواجهوا كل هذا ، فى عالم غامض ومخيف .. (عالم جديد) .
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل .

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

156

الثمن فى مصر 300
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع